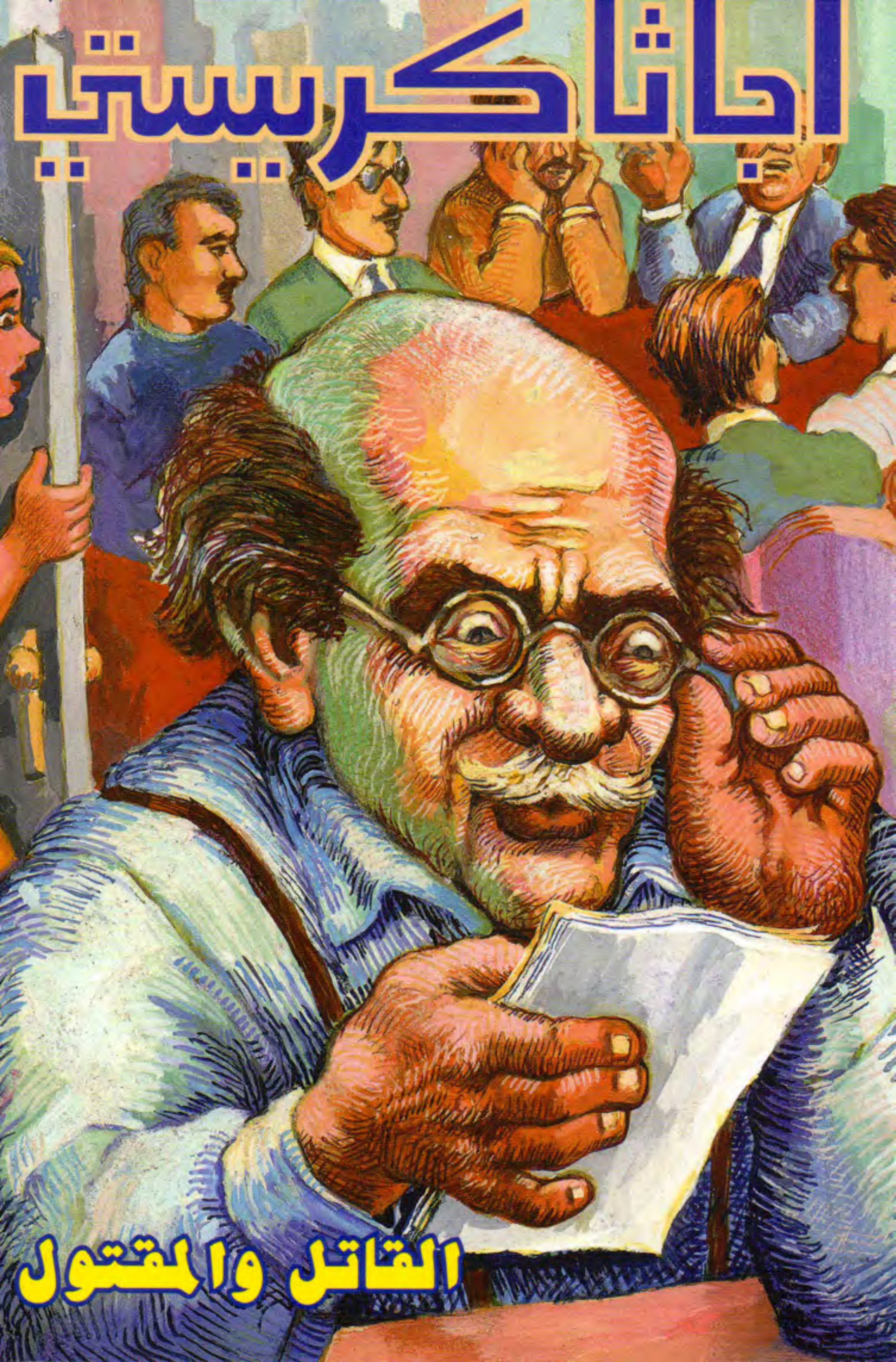


اجاثا كريستي
القاتل والمقتول



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

القاتل والمقتول
The Secret Adversary

بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة يجد كل من «تومي» و«برودانس كاولي» نفسيهما بلا مال على الإطلاق، وبلا وظيفة! ولهذا قررا أن يكتبا إعلانًا عنهما يقولان فيه: «شابان مغامران مستعدان للعمل في أي شيء والذهاب إلى أي مكان». فأرسل السيد «ويتينجتون» في طلبهما، وكان نذير شؤم عليهما حيث جلب عليهما الخطر الداهم،فكان يجب عليهما أن يبذلا أقصى ما لديهما من نجابة ونبوغ للنجاة بنفسيهما، وكذلك لإنقاذ حياة شخصية «جين فين» التي تكتنفها الغموض!

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الأردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 995338252-2



القاتل والمقتول

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

القاتل والمقتول

(69)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 — فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org — Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

The Secret Adversary

(1922)

الغلاف بريشة الفنان

صلاح عناني

مقدمة

على حين بغتة ثارت العاصفة.. هوجاء مدمرة، والأمواج عاتية ثائرة.. تكتسح وتجرف، كأنها سيل لا يبقي ولا يذر. ومالت "**الباسيفيك**" على جانبها، وغاصت مقدمتها في الماء، ولم يعد ثمة شك في أنها سوف تغرق. وأنزلت قوارب النجاة، وتجمع الركاب صفوفًا متراصة، يترقبون دورهم في النزول إلى القوارب، وفي مقدمتهم النساء، والأطفال، وفي وجوههم الفزع والرعب. كانت الفتاة متباعدة عن الصفوف المتزاحمة، دون أن تكون بوجهها بادرة من الخوف، أو الانزعاج. وفي غمرة الأصوات الصاخبة والصراخ سمعت الفتاة صوتًا بجانبها. كان الصوت يقول:

– يا آنسة.

واستدارت الفتاة، ورأت الرجل الذي ناداها، وعرفته على الفور. كانت قد لمحته من قبل مرة، أو مرتين بين ركاب الدرجة الأولى. وأثار مرآه خيالها– خيال فتاة لا تعدو الثامنة عشرة ربيعًا– فقد بدا لها عندئذ منطويًا على نفسه، معتزلا عن الناس، لا يتحدث إلى أحد، تتسم قسمات وجهه بالغموض. وتقدم الرجل الغامض خطوة ناحية الفتاة، ودارت عيناه فيمن حوله بنظرة تشوبها الشكوك، وقد انعقدت على جبينه حبات من العرق. وتلاقت عيناه بعيني الفتاة، وتراءى لها الرجل مترددًا في يأس وقنوط. وسمعته يهمس:

– لا مفر من هذا. تلك هي الوسيلة الوحيدة.

ثم رفع صوته إليها وسألها:

– هل انت أمريكية؟

فأجابت:

– نعم.

– وهل أنت وطنية مخلصة؟

فتضرج وجهها احمرارًا، ورمقته بنظرة فيها لمسة من عتاب، وقالت له:

– ما كان ينبغي أن تداخلك الريبة في أمري.. إنني طبعًا وطنية مخلصة.

فقال :

– لا تستشعري الإهانة من قولي، فلو أنك عرفت ما يدور حوله سؤالي لالتمست لي عذراً.

ثم أردف :

– يجب أن أعثر على شخص أثق به.. امرأة على الأخص.

فتساءلت :

– ولِمَ امرأة بالذات؟

– لأنهم يعملون على إنقاذ النساء، والأطفال قبل الرجال. فمن المحتمل أن نغرق نحن الرجال مع الباخرة. وأردف :

– إن معي أوراقًا على غاية في الأهمية، فإن حكومتنا تعاني بعض المشاكل، وهذه الوثائق كفيلة بإنقاذ الموقف، فإذا أنت أخذتها مني، فقد تسنح الفرصة لنجاتك ونجاتها.. فهل تقبلين أن أعهد إليك بهذه المهمة؟

وكان جواب الفتاة أن بسطت إليه يدها تنشد الأوراق. وقال لها :

– لحظة واحدة! يجب أن أنذرك بما ينطوي عليه هذا العمل من خطر.. هناك من يتعقب خطواتي، وستجدين نفسك مهددة بالأخطار. فهل لديك على الرغم من هذا من الشجاعة ما يحملك على قبول هذه الوثائق؟

ولاحت على شفتي الفتاة ابتسامة خفيفة، وقالت :

– إني فخور بأن وقع عليّ اختيارك.. ولكن ما الذي سأفعله بها عندما أنزل إلى البر؟

– اقرئي صحيفة "**التايمز**". سأنشر فيها إعلانًا أستهله بهذه الكلمات : «إلى رفيقة السفر» فإذا لم يظهر هذا الإعلان خلال ثلاثة أيام، فمعنى هذا أني مت غرقًا. وما عليك إلا أن تذهبي إلى السفارة الأمريكية، وتطلبي مقابلة السفير شخصيًّا، وتسلميه هذه الوثائق يدًا بيد. هل وعيت ما أقول؟

– تمامًا.. فكن مطمئنًا.

فقال :

– والآن استعدي فإني سأصافحك مودِّعًا.

وأخذ بيدها بين كفيه، وهو يقول في صوت عال:

– إلى اللقاء!.. أرجو لك حظًّا سعيداً.

وكانت بين ثنايا كفه لفافة صغيرة دفع بها إلى يدها في الخفاء. وما هي إلا لحظات، حتى ناداها الضابط الذي يتولى عمليات الإنقاذ، فبادرت تستقر في أحد قوارب النجاة.

- 1 -

– أهلا بك يا "**تومي**".. أيها الصديق القديم!

– أهلا بك أيتها الصديقة العجوز "**كواتسو**"!..

وفي حماس اللقاء وفورته، ارتمى كل منهما بين ذراعي الآخر يضمه إلى صدره في حرارة.

وقع هذا اللقاء بين الفتى والفتاة عند مغادرتهما «المترو». وهتف الرجل:

– لقد مضى دهر دون أن نلتقي! إلى أين أنت ذاهبة؟ لِمَ لا تصحبينني لنتناول قدحًا من الشاي؟

فابتسمت المرأة في وجهه، وقالت:

– فليكن.. هيا بنا.

واتجها معًا إلى ميدان "**بيكاديللي**"، و"**تومي**" يسألها:

– حسنًا.. والآن إلى أين؟

ولم تغب رنة القلق في صوت "**تومي**" عن أذن الآنسة "**برودانس كاولي**" المعروفة بين الأخصاء باسم الآنسة "**كواتسو**"، فسألته:

– "**تومي**"... أتراك تعاني أزمة مالية؟

– من؟ أنا؟ إني على العكس أتقلب في أكداس الذهب.

ولكن "**كواتسو**" لم تقتنع، وإنما قالت:

– يا لك من كذوب كبير. أكاذيبك لا تخفى عليّ!

وندت عن صدر "**كواتسو**" تنهدة خفيفة، وقالت:

– أو تعرف كيف حالنا الآن؟ لقد فصلوا نصف الممرضات بسبب الأزمة الاقتصادية.

– وهل أنت من بينهن؟

فأومأت إيجابًا، وسألته:

– وأنت؟ أتراك أنت أيضًا عاطلا عن العمل؟

فأجاب:

- مذ تخرجت في كلية "**جيني**"، لم أمارس عملا على الإطلاق.

- يا لك من مسكين أيها الطفل العزيز! إذن فكيف تعيش؟

- على القليل الذي أناله من أبي.

كانا قد بلغا مقهى "**ليون**"، فتحولت إليه "**كواتسو**" قائلة:

- فلندخل هنا على أن يتكفل كل منا بنفقاته..

كان المشرب مزدحمًا غاصًّا بالرواد، فاضطرا إلى أن يتريثا برهة في مدخله إلى أن تخلو إحدى الموائد. تناثرت إلى آذانهما كلمات الجالسين إلى الموائد القريبة وهم يتسامرون ويتبادلون الحديث.

وسمعا من يقول: «تصوري يا عزيزتي، إنها انفجرت باكية عندما قلت لزوجها في النهاية: إني لا أستطيع أن أتنازل له عن مسكني..»

وهمس "**تومي**":

- يا لها من أحاديث عابرة تطير إلى أذن المرء حيثما يقف وينصت.. لقد سمعت منذ لحظات رجلين يرددان اسم امرأة تدعى "**جين فين**".. ألا ترينه اسمًا عجيبًا؟

وقبل أن تعقب "**كواتسو**" بكلمة زايلت امرأتان متقدمتان في السن مائدتهما، فبادرت "**كواتسو**" تحتل أحد المقعدين، وجلسا يتناولان الشاي ويتسامران:

- أتذكرين أننا لم نلتق منذ أيام المستشفى؟

وأجابت:

- هذا صحيح.

واستطرد:

- يا له من تاريخ.. الآنسة "**برودانس كاولي**".. الابنة الخامسة للأب "**كاولي**" راعي كنيسة "**ليتل ميسينديل**" في "**سافولك**".

وابتسمت "**كواتسو**" وهو ماض في سرد تاريخ حياتها:

- لقد هجرت "**برودانس**" مسقط رأسها، واستقرت في "**لندن**"، والتحقت

بمدرسة الممرضات. وذات يوم وقعت بين المرضى على رفيق الطفولة السيد "**توماس بريسفورد**" ("**تومي**") وكانت لم تلتق به منذ خمسة أعوام. وبعد أيام تلقت الممرضة "**كاولي**" من رئيستها لومًا؛ لأنها شوهدت في السينما المجاورة في صحبة المريض "**توماس بريسفورد**" وبعد ذلك بفترة وجيزة فصلت من عملها مع نفر من الممرضات؛ بسبب الأزمة الاقتصادية.

فتقلبت في أعمال شتى، ولكن على غير جدوى، فهي اليوم عاطلة لا تمارس عملا.. أي عمل.

وكانت قصة "**تومي**" أبسط من هذا، وأقل تعقيدًا: حاصل على الدبلوم من كلية "**جيني**". البحث المتواصل عن عمل، والفشل المتواصل في الحصول على عمل.. وخلال اثني عشر شهرًا طويلة ممتدة وهو يلهث هنا وهناك سعيًا وراء وظيفة، حتى لقد أيقن أن الوظائف– لسبب ما– اختفت ولم يعد لها وجود. وفي حيرة وأسى هزت "**كواتسو**" رأسها، وسألته:

– وأهلك؟ أليسوا أغنياء؟

وهز رأسه نفيًا، فعادت تسأل:

– أليس لك يا "**تومي**" عمة ثرية؟

– كلا.. ولكن لي خال يتقلب في أحضان الذهب، غير أنه لا أمل يرجى من ورائه. لقد أراد أن يتبناني، فرفضت، فما كان منه إلا أن غضب.

– أكان رفضك مراعاة منك لأمك؟

– نعم، فما كان من اللائق أن أتخلى عنها، ولا ولد لها سواي.. وكان العجوز الخبيث يكرهها، فأراد أن يبعدني عنها بأي ثمن.

– لقد عرفتك دائمًا رجلا نبيلا رقيق المشاعر يا "**تومي**".. أو تحسب أنني أحسن منك حالا؟!

لقد جاهدت مثلك وفشلت.. أرهقت أهلي، واقترضت من كل من هب ودب، حتى ضجروا مني جميعًا.. رددت على جميع الإعلانات، ولكن أحدًا لم يفكر في أن يرد عليّ.. حاولت وحاولت، ولكن بلا فائدة حتى أنفقت آخر بنس معي.

والآن لم يعد أمامي مفر من أن أعود إلى مسقط رأسي.

فقال "**تومي**" معقبًا:

– وبذلك تشبعين في نفسك الحنين إلى موطنك.

فهزت كتفيها في غير اكتراث، وقالت:

– وما جدوى العواطف في هذا المقام؟ الذي سيعيدني إلى قريتي الصغيرة هو الإفلاس، وليس الحنين! لا أنكر أن أبي لطيف جدًا وأنا أعشقه، ولكنني أخيفه وأفزعه... إنه قسيس من الطراز العتيق، وتصرفاتي لا تروق له.. إنها لخطيئة جسيمة عنده أن تدخن المرأة، وأنا مولعة بالتدخين كما تعلم، فما إن اعتزمت الرحيل إلى "**لندن**" حتى طاب نفسًا بأن تواريت عن عينيه... لا تنس أننا كنا في البيت سبعة أفراد، لا هم لنا إلا تدبير شئون المنزل، الكنس والمسح والطهي، أما أنا فكنت دائمًا «الشاة السوداء» المتمردة، وسط النعاج المطيعة المستسلمة. ولكن دعنا من هذا يا "**تومي**" المشكلة الآن هي: ما العمل؟

وفجأة انفجرت "**كواتسو**" قائلة:

– اسمع يا "**تومي**".. لقد فكرت طويلا في الطرق المؤدية إلى اكتساب المال، وهي لا يمكن أن تخرج من ثلاث: أن تتزوج.. أو أن ترث.. أو أن تحصل عليه بطريقة ما..

– هذا صحيح، فلا سبيل إلى المال إلا بهذا.

واستطردت "**كواتسو**" قائلة:

– أما الزواج فلا رجاء لي فيه؛ فإن كل الشباب الذين أعرفهم من الفقراء فلا سبيل لي إلى رجل ثري. والطريقة الثانية هي أن أرث قريبًا غنيًّا فهي مستحيلة أيضًا؛ لأن كل أقاربي من الفقراء، ولن أرث منهم إلا الديون.

فقال "**تومي**":

– لم تبق إذن إلا الطريقة الثالثة. أي اكتساب المال عن طريق المغامرة.

فردت "**كواتسو**":

– تمامًا.. المغامرة هي الوسيلة الوحيدة لاكتساب المال، حتى لو أصبحنا من

المغامرين ذوي الضمائر المرنة.

فقال "**تومي**" في مرح:

– ولِمَ لا؟ إني أحب هذا. فكيف نبدأ؟

– تلك هي المشكلة يا عزيزي، فلو أننا كنا من المغامرين المشهورين لانهالت علينا الطلبات، ولن نرفض شيئًا لو طلبوا إلينا أن نرتكب جريمة قتل– ما داموا يدفعون!

فقال "**تومي**":

– رائع...! رائع جداً.. خاصة وأنني أسمع هذا الرأي من ابنة قسيس محترم مبجل.

فهزت "**كواتسو**" كتفيها في استخفاف، وقالت:

– فلندع عبء المسؤولية الأدبية على أكتاف أهلنا، ثم إن هناك فرقًا كبيرًا بين أن تسرق عقداً من اللآلئ؛ لأنك شرير بالغريزة وأن تسرقه؛ لأنك نقدت أجرًا لكي تسرق.

– لن يكون هناك أي فرق على الإطلاق عندما تمثلين أمام القاضي، فيأمر بك أن تزجي في السجن.

فقالت:

– ربما.. ولكني على أية حال لن أسمح لهم بالقبض عليّ.

فقال "**تومي**" ساخراً:

– إن التواضع من خصالك المعروفة!

– لا تحاول أن تهزأ بي.. والآن فلنعد إلى ما كنا فيه.. لم لا تصبح من المغامرين؟ لم لا نتعاون معًا فنؤلف شركة للمغامرة؟

– شركة لسرقة عقود اللآلئ؟

– هذا كان مجرد مثل أيها الأبله.. شركة للمغامرة. يا لها من فكرة رائعة!

فمضى "**تومي**" في سخريته اللاذعة قائلا:

– وأي نوع من الشركات تكون شركتنا هذه؟

- شركة مساهمة مثلا.

- وما هو الاسم الذي نطلقه عليها.. شركة المغامرين الشبان وشركائهم!

فقالت "كواتسو":

- كفاك سخرية مني! إني جادة فيما أقول.

- بالله عليك كيف يكون الاتصال بالعملاء؟

- بالإعلان يا صديقي..! بالإعلان..! ألا تستطيع أن تدرك فائدة الدعاية في العصر الحديث؟

ثم أردفت:

- هل معك قلم وورقة؟

وناولها ورقة وقلماً، فانكبت على مائدة الشاي تسطر بعض الكلمات على الورق، وهي تقول:

- فلنستهل الإعلان بهذه الكلمات: «شاب عاطل عن العمل، له قلب جسور، وعقل ذكي راجح».

فضحك "تومي" قائلا:

- أتستهلين الإعلان بهذه الأكذوبة الصارخة؟ إني لست بالجسور، أو الذكي.

فقالت "كواتسو":

- أنسيت أني وراءك أساندك وأوجهك؟

- ولكنني أكره المغامرات، وأوثر عليها إعلانًا أطلب فيه شخصًا يتبناني.

- هل نسيت أنك قلت لي منذ لحظات: إنك أبيت في يوم ما أن يتبناك خالك؟ ثم إن الصحف مليئة بإعلانات عن طلبات للتبني.. يجب أن نعلن عن شيء أصيل يسترعي الانتباه.. فلنقل مثلا: «شابان مغامران، رجل وامرأة، للإيجار، ومستعدان لأي عمل، وفي أي مكان- الأجر مرتفع».

واستطردت "كواتسو":

- نعم.. يجب أن نشير إلى أن أجرنا مرتفع؛ حتى ينظر إلينا قارئ الإعلان نظرة احترام وتقدير. ويجب أن نضيف أيضًا: «لا نرد إلا على الطلبات الجدية».

فقال "**تومي**" ضاحكًا:

– وهل ترين أن مثل هذا الإعلان له طابع جدي؟

فقالت:

– كفاك تثبيطًا لهمتي.. سيكون الإعلان على هذه الصورة: «مغامران من الشباب، رجل وامرأة للإيجار. مستعدان لأي عمل مهما كان، وفي أي مكان.. الأجر مرتفع».. فما رأيك في مثل هذا الإعلان، إذا أنت قرأته في إحدى الصحف؟

فأجاب "**تومي**":

– سأقول على الفور إن هذين الشخصين إما أن يكونا مجنونين، وإما أنهما يمزحان.

فقالت:

– إنه على أية حال لن يكون أشد جنونًا من إعلان قرأته هذا الصباح يقول فيه صاحبه: "**بيتونيا**". أين أنت؟ والإمضاء «حبيبك»...

وناولته "**كواتسو**" الورقة، وهي تقول:

– خذ.. اذهب بهذا الإعلان إلى "**التايمز**" وانشره فيها، وأضف إليه الرقم السري الذي ترسل إليه الردود.. هذا الإعلان سيكلفنا ستة شلنات، فإليك ما يخصني ثلاثة شلنات.

وتناول منها "**تومي**" ورقة الإعلان وطواها، ودسها في جيبه، ثم أردف:

– وما المانع؟ إنه إعلان طريف على أية حال، وسأنشره على سبيل التسلية.

فقالت "**كواتسو**" في حماس وانفعال:

– تسلية؟ كلا يا صديقي.. ما يدريك أن مثل هذا الإعلان قد يملأ جيوبنا بالمال؟ والآن فلنشرب نخب النجاح والمستقبل.

وأفرغ كل منهما في جوفه ما تبقى في قدح الشراب.

ونهضت "**كواتسو**" واقفة، وهي تقول:

– والآن لابد من أن أعود إلى «قصري المنيف».

فقال "**تومي**" مازحًا:

– أما أنا فسأعود إلى جناحي الفاخر في فندق "**ريتز**" ..

ثم أردف:

– ولكن أين نلتقي غداً؟ أين.. ومتى؟

فأجابت:

– فليكن لقاؤنا غداً في الثانية عشرة ظهراً عند محطة «المترو» في "**بيكاديللي**" .. أيوافقك هذا؟

– إن وقتي ملكي، فليكن لقاؤنا في هذا المكان وفي هذا الموعد.

وتصافحا في حرارة، وقالت "**كواتسو**":

– إلى اللقاء يا شريكي العزيز.

– إلى اللقاء يا شريكتي العزيزة.

وانصرفا معًا من المشرب، وعند بابه تصافحا من جديد، ثم افترقا، واتخذ كل منهما سبيله، هو إلى فندق "**ريتز**" المزعوم، وهي إلى «قصرها المنيف» الذي لا يعدو أن يكون غرفة فوق سطح إحدى العمارات. سارت "**كواتسو**" في طريقها، وعبرت حديقة "**سان چيمس**"، وعندئذ سمعت من ورائها صوت رجل انتزعها من خواطرها.

كان الرجل يقول:

– معذرة يا آنسة، ولكن أتسمحين بأن أتحدث إليك لحظة؟

- 2 -

استدارت "**كواتسو**" حانقة إلى الرجل، الذي تجاسر على أن يوجه إليها هذه العبارة، ولكن الكلمات تجمدت على شفتيها حين رأت أن ليس في هيئته ما يبرر شكوكها. فقد بدا لها رجلا محترمًا ليس من الطراز الذي يعابث النساء. قال لها الرجل في صوت رقيق النبرات:

– اسمحي لي أن أؤكد لك يا آنسة أني لست من الطراز الذي تظنين.

سألته:

– وما الذي تريده مني؟

فابتسم قائلا:

– كنت جالسًا إلى المائدة المجاورة في مشرب الشاي، وسمعت الحديث الذي دار بينك وبين صديقك.

– وأي شيء في هذا؟

– لقد خطر لي أنك يمكن أن تكوني ذات نفع لي، إن لدي عملا لك.

وقدم إليها بطاقته، فتطلعت فيها. كان اسمه السيد "**هوايتنج**" مدير شركة "**استونيا للاستيراد**"، وتحت هذه الكلمات عنوان مكتبه. واستطرد الرجل:

– إذا حضرت إلى مكتبي في الحادية عشرة من صباح الغد، أمكنني أن أدلي إليك بتفاصيل ما أريده منك.

وتريثت "**كواتسو**" برهة مفكرة، ثم قالت:

– فليكن إذن.. إلى اللقاء في الحادية عشرة غداً. ها قد بدأت المغامرات التي تهفو إليها. ترى، ما عساه يريد منها هذا الرجل؟

واتخذت على الفور قرارها: اتجهت إلى أحد مكاتب التلغراف، وبعثت إلى شريكها في شركة المغامرات برقية تقول فيها: «لا تنشر الإعلان. الشرح غداً».

نعم. غداً تلقاه، وتذكر له أن المغامرة قد طرقت بابها، وأن الطريق إلى الثراء أصبح ممهداً وميسوراً. وقصدت إلى «قصرها المنيف»، تلك الغرفة الصغيرة القابعة فوق سطح إحدى العمارات.

وباتت ليلتها تحلم بالثراء، وتتساءل عما يبتغيه منها السيد "**هوايتنج**" مدير شركة "**استونيا للاستيراد**".. أتراه يريد منها أن تستورد له الألماس خفية؟ ولكن مهما يكن، فإنها الآن بسبيل أن تكسب مالا من وراء إحدى المغامرات التي كانت تهفو إليها.. في تمام الحادية عشرة من صباح اليوم التالي. كانت "**كواتسو**" تطرق الباب؛ إذ رأت لافتة صغيرة مسطورة عليها هذه الكلمات: «**شركة استونيا للاستيراد**» وتلقاها موظف كهل، على عينيه نظارة سوداء، فقالت له:

– إني على موعد مع السيد "**هوايتنج**".

– إنه في انتظارك يا آنسة.

وقادها إلى باب في صدر البهو، فنقر عليه، ثم دعاها إلى الدخول. وكان السيد "**هوايتنج**" جالسًا إلى مكتب كبير تكدست فوقه الأوراق، فرفع رأسه عما كان منكبًا عليه، وقال لها:

– إذن فقد حضرت؟ أرجوك أن تجلسي.

واستوت جالسة، وتطلعت إليه مترقبة، فقال:

– والآن سأصارحك يا ابنتي العزيزة بما أريده منك. إنك تبحثين عن عمل، حسنًا.. إن لدي عملا لك، فما رأيك في مائة جنيه أجرًا بخلاف النفقات؟

كادت "**كواتسو**" تقفز فرحًا، ولكنها تماسكت، وقالت تسأله في تؤدة:

– وما طبيعة ذلك العمل؟ أتريد مني أن أقتل أحدًا؟

فضحك وقال:

– عمل عادي.. رحلة لطيفة إلى "**باريس**".

– أهذا كل ما هنالك؟.. في صحبتك طبعًا؟

قالتها ساخرة، فابتسم وقال:

– لو أني كنت أصغر سنًا عشرين عامًا؛ لأسعدني أن أطلب إليك هذا.. كلا يا ابنتي العزيزة.. إنها رحلة عمل، وستكونين بمفردك.. إنك ستنزلين هناك في فندق مخصص للنساء فقط. فندق السيدة "**كولومبا**" في شارع "**نويلي**".

فسألته:

– أكل ما تطلبه إليّ هو أن أقيم في هذا الفندق؟ ولكن ما هي المدة؟

– هذا يتوقف على أشياء كثيرة.. ربما ثلاثة شهور.

– أليست هناك شروط أخرى؟

– كلا. كل ما هو مطلوب منك أن تكوني «عينًا» لي ترين وتنصتين، ولكن لا تحاولي أبدًا أن تتصلي بي.. إن السرية أمر حتمي.. إنك إنجليزية طبعًا ولست أمريكية؟

– نعم إني إنجليزية، وهذه اللكنة الأمريكية في لساني ترجع إلى زميلتي الممرضة في المستشفى. كانت أمريكية الجنسية فتأثرت بها. ولكن دعني أوجه إليك سؤالا يا سيد "**هوايتنج**".. ما الذي يجعلك سخيًّا إلى حد أن تنفق عليّ عشرات الجنيهات لكي أتنزه في "**باريس**"؟

– لأنك فتاة مغامرة وذكية، يمكن أن تقوم بدورها على وجه مرضٍ، كما أنك لست من الطراز الفضولي الذي يوجه الكثير من الأسئلة، كما أنك– فيما أعتقد– فتاة كتوم.

– شكرًا لك.. ولكننا حتى الآن لم نشر بكلمة إلى السيد "**بريسفورد**".

فقال في استغراب:

– السيد "**بريسفورد**"؟ ومن يكون؟ إني لم ألحظه.

– شريكي.. إنك رأيته معي بالأمس في مشرب الشاي.

– آه.. هذا صحيح، ولكنني في حاجة إلى فتاة، وليس إلى رجل.

– في هذه الحالة لابد أن أنسحب.. إني آسفة، فإما أن نكون– نحن الاثنين– معًا، وإما فلا..

ونهضت "**كواتسو**" واقفة، فأهاب بها:

– لحظة واحدة.. أرجوك أن تجلسي، فربما وصلنا إلى اتفاق بشأن شريكك هذا يا آنسة؟

وهمت بأن تذكر له اسمها، ولكنها ما لبثت أن أحجمت. خطر لها أن رحلة "**باريس**" قد تورطها في شيء شائن، فما يكون من أمر أبيها القس المحترم إذا نشر اسم الأسرة في الصحف مقترنًا بإحدى الفضائح؟ ورأت أن تكتم اسمها، وأن تذكر للسيد "**هوايتنج**" اسمًا مستعارًا، وكان أول اسم طرأ ببالها هو "**جين فين**".

– إني أدعى "**جين فين**".

ثم حملقت في دهشة إلى الرجل الجالس أمامها وراء مكتبه. ما إن انفرجت شفتاها عن هذا الاسم حتى تلاشت فجأة الابتسامة المرتسمة على شفتي السيد "**هوايتنج**"، واحمر وجهه غضبًا وأطلت من عينيه نظرة خوف واضحة، وانطلقت

من بين شفتيه الكلمات الثائرة.

صرخ فيها:

– إذن فهذه هي «اللعبة»؟

تطلعت إليه "**كواتسو**" في ذهول، إذ لم تكن تدري سببًا لهذا الانقلاب العجيب. واستطرد:

– إذن فقد كنت طوال الوقت «تلعبين» بي وتعبثين.. إذن فقد كنت تعرفين أني في حاجة إليك، فجئت إليّ لكي تقومي بهذه المهزلة؟

ورويدًا رويدًا كظم ما في نفسه، وتبددت من وجهه سمات الغضب، وقال لها في تؤدة:

– ولكن من الذي أفشى السر...؟ أهي "**ريتا**"؟

ولم تكن "**كواتسو**" قد سمعت من قبل باسم "**ريتا**"، ولم تكن تعرف أحدًا بهذا الاسم.

ومع ذلك فقد قررت أن تستمر على ادعائها بأنها "**جين فين**"، ولكن إلى متى؟ إن خدعتها لابد أن تنكشف– إن عاجلا أو آجلا. وقالت في تمهل:

– كلا.. إنها ليست "**ريتا**" التي تكلمت.. إن "**ريتا**" لا تعرف شيئًا عني.

وضاقت عينا "**هوايتنج**" وقال:

– ليس مهمًّا أن تكون "**ريتا**" أو سواها.. المهم: ما الذي تعرفينه؟

وكانت "**كواتسو**" لا تعرف شيئًا عما يسألها فيه، ومع ذلك استبدت بها روح المغامرة، فوجدت في نفسها الجرأة على أن تتحداه بأن قالت:

– ما أعرفه قليل محدود.

فقال "**هوايتنج**":

– إني لا أصدقك، فلولا أنك تعرفين الكثير لما واتتك الشجاعة على أن تحضري إلى مكتبي لكي تواجهيني.

يا لها من مهزلة! إنه لا يدري أن الاسم الذي ذكرته اسم مستعار.. إنه أول اسم خطر ببالها على البديهة. وقالت "**كواتسو**" في تؤدة وبلا خوف:

– وما يدريك أن "**جين فين**" هو اسمي الحقيقي؟ أتراك تعتقد أنه ليس في الدنيا بهذا الاسم إلا فتاة واحدة، هي تلك التي تتحدث عنها أنت؟

فقال:

– أو تزعمين أن هناك فتاتين بهذا الاسم؟

– ولم لا؟ ومع ذلك فمن المحتمل أيضًا أنه اسم مستعار خطر ببالي، فانتحلته عندما سألتني عن اسمي.

وألفى السيد "**هوايتنج**" نفسه في حيرة من إجابتها. لا يدري إن كان "**جين فين**" اسمها الحقيقي، أم اسمها منتحلا مستعارًا! وعاد إلى هياجه، فضرب المكتب بقبضته، وقال ثائرًا:

– كفاك عبثًا بي..! ما الذي تعرفينه؟ وكم تريدين! وأعياها الجواب وارتج عليها.

ما الذي تعرفه؟ إنها لا تعرف شيئًا على الإطلاق! كم تريد؟ حتى هذا لا تعرفه، فما هو ذلك الشيء الخفي الذي يريد السيد "**هوايتنج**" أن يدفع له ثمنًا؟

وتريثت برهة مفكرة، ثم أجابت:

– اسمع يا عزيزي السيد "**هوايتنج**".. إنني أشاطرك الرأي في أنه يجب أن نلعب على المكشوف، دون أن نلجأ إلى المداورة.. لقد ذكرت لك اسمًا، فلك مطلق الحرية في أن تصدق أنه اسمي، كما أنك حر في أن تعتقد أنه اسم منتحل.. المهم أني لا أقول لك أكثر من هذا، ولن أمدك بالمزيد من المعلومات.

وقال السيد "**هوايتنج**" في صوت تفجرت فيه نبرات الغضب:

– أما كفاك سخرية بي!.. إنك تعرفين الكثير.. إنني موقن بهذا.

ورأت "**كواتسو**" أن أنسب جواب على هذا السؤال لكي تحتفظ بالحقيقة هو أن تقول:

– لن أعارضك فيما تقول يا سيد "**هوايتنج**"، فلك أن تظن ما تشاء.. إني لا أنكر ولا أعترف.

فهز رأسه وهو يتأملها بنظرة شاردة، وقال:

– إذن فلننتقل إلى السؤال التقليدي: كم تريدين؟

فخارت "**كواتسو**" كيف تجيب.. إن تحديد المبلغ يكشف خدعتها، فيجب أن تتخلص من الرد.

قالت:

– يمكنك الآن أن تقدم إليّ مبلغًا تحت الحساب، وفيما بعد نتحدث عن المبلغ المطلوب.

فقال:

– هذا هو الابتزاز عينه!

– كلا.. بل مجرد عربون .. أو سلفة.. أو سمِّه ما تشاء.. لكنه مبلغ تحت حساب خدماتي المستقبلة.

فزمجر السيد "**هوايتنج**"، ثم أردف باسمًا:

– نعم.. إني واثق بأن في وسعك أن تسدي إليّ خدمات رائعة.

فقالت:

– إن الدنيا حافلة بالمفاجآت.

– صدقت.. إنني واثق بأن هناك شخصًا ما تكلم وأفلت لسانه، وأنت تقولين: إن هذا الشخص ليس هو "**ريتا**"، ولذلك...

وقطع عليه الحديث نقرات خفيفة على باب الغرفة، ودخل الكاتب الكهل الذي استقبل "**كواتسو**" عند حضورها، وقدم ورقة مطوية إلى السيد "**هوايتنج**" وهو يقول:

– رسالة تليفونية لك يا سيدي.

وألقى "**هوايتنج**" نظرة على السطور، ثم قطب جبينه وقال:

– شكرًا لك.. يمكنك الآن أن تنصرف. فلست في حاجة إليك.

وإذ أغلق الكاتب الباب وراءه، التفت "**هوايتنج**" إلى "**كواتسو**" وقال لها:

– عودي غدًا في مثل هذه الساعة.. الحادية عشرة. لنعاود حديثنا. والآن إليك هذه الخمسين جنيهًا.. تحت حساب خدماتك المستقبلة كما قلت.

وبادرت إلى الانصراف، وهي تقول:

– طاب يومك يا سيد "**هوايتنج**"، وإلى اللقاء غداً.

الآن ستذهب إلى لقاء "**تومي**" عند محطة «مترو» "**بيكاديللي**"، وتذهله بهذه المفاجأة العجيبة: هذه الثروة التي في حقيبتها.

ومشت في اتجاه «المترو»، ولكنها ما لبثت أن قالت في نفسها:

– كيف أركب «المترو» وقد أصبحت ثرية؟

واستوقفت سيارة أجرة وطارت إلى محطة "**بيكاديللي**". هبطت من السيارة في زهو وخيلاء، وكان "**تومي**" على الإفريز في انتظارها.

حملق إليها مشدوها وهو يسائل نفسه:

– كيف تركب هذه المجنونة سيارة أجرة؟ من أين لها الأجر وهي تكاد تتضور جوعًا!

وأقبلت عليه "**كواتسو**"، وقالت له في شموخ واستعلاء:

– "**تومي**".. ادفع أجر السيارة؛ فليس معي إلا بنكنوت من فئة خمسة الجنيهات!

- 3 -

وأخذ "**تومي**" ينبش جيوبه حتى اجتمعت له تسعة شلنات، ومع ذلك كان لا يزال في حاجة إلى سبعة بنسات. وقال لها:

– أمعك قطع نقد صغيرة؟

وبدورها فتشت جيوبها وأكملت الأجر. وقال لها:

– بحق السماء ما الذي جعلك تركبين سيارة أجرة؟

فأجابت:

– خشيت أن أصل إلى موعدنا متأخرة، فيضايقك الانتظار.

– الذي يضايقني هو أن أفرغ كل ما في جيبي أجرًا للسيارة.

– هون عليك يا شريكي، فإن حقيبتي عامرة بخمسين جنيهًا، ولكنها كلها بكل أسف من فئة الخمسة جنيهات.

فقال:

– ألا تكفين عن هذه المهزلة؟!

– يا إلهي..! ألا تصدقني..! ألا ما أعجب الدنيا..! حين أكذب يصدقونني، وإذا صدقت كذبوني.

ثم أردفت:

– إني أكاد أموت جوعًا، فهل تحب ان نتغدى في "**سافوي**"؟

فقال هادئًا:

– ولم لا نتغدى في "**ريتز**"؟ إنه افخم. وإني أوثر أن نتناول طعامنا في مطعمنا المتواضع المألوف في "**بيكاديللي**" هيا بنا.

وعادا يتابعان طريقهما صامتين، وفجأة قال في رقة:

– "**كواتسو**".. الا ترين أنه يجب أن تذهبي إلى طبيب نفساني؟

فتساءلت:

– وما السبب؟

– إني أراك منهارة الأعصاب، تتخيلين أشياء لا وجود لها، وإلا فما هي حكاية هذه الخمسين جنيهًا؟

فقالت:

– الحق معك. لقد كسبت ثروة فاختبل عقلي. العلاج الوحيد هو أن آكل ما اعتاد الأغنياء أن يأكلوه: أطباق المشهيات "**الأورديفر**"، هومار المتبل على الطريقة الإيطالية، خوخ على طريقة ميلبا "**بيش ميلبا**".. هيا.. هيا.. تعال بنا نأكل كل هذا. وقال لها "**تومي**" في إشفاق ورثاء:

– "**كواتسو**".. حبيبتي.. هل جننت؟

– وكيف لا أجن ومعي كل هذا؟

وفتحت حقيبتها وأبرزت رزمة أوراق النقد، وهي تهتف به:

– انظر! انظر! كل هذا ملك لي..

فقال متسائلا في دهشة واستغراب:

– ما هذا؟

– ثروة كسبتها.

– أسطوت على أحد البنوك؟

– بل سطوت على أحد المغفلين.

وفي المطعم، وعلى مائدة المشهيات والدجاج واللحوم، أخذت "**كواتسو**" تسرد قصتها. وقالت:

– والشيء الذي مازلت أعجب له هو أني اخترعت اسمًا: "**جين فين**"، فكان لهذا الاسم الذي اخترعته ذلك التأثير العجيب فيه.

فقال لها "**تومي**":

– ولكنك لم تخترعي هذا الاسم. أنا الذي ذكرته لك، فرسب في ذهنك.

– أنت الذي ذكرته لي؟ ومتى كان ذلك؟

– بالأمس.. عندما كنا في المشرب ننتظر أن تخلو إحدى الموائد. ألم أقل لك إني سمعت رجلين يتحدثان عن فتاة تدعى "**جين فين**"، وقلت لك إنه اسم عجيب مضحك.

فقالت:

– آه.. صدقت.. الآن تذكرت هذا الاسم.

– لقد وعاه عقلك الباطن، فجرى به لسانك.

وتريثت "**كواتسو**" برهة مفكرة، ثم قالت:

– "**تومي**".. صف لي الرجلين اللذين كانا يتحدثان عن هذه الفتاة "**جين فين**".

وما إن أدلى إليها بأوصاف أول الرجلين، حتى هتفت:

– هذا هو "**هوايتنج**" بعينه! يا لها من مصادفة عجيبة. أما الثاني فلا أذكر أوصافه جيداً؛ إذ كان موليًا ظهره إلى ناحيتي.

ثم أردف:

– كيف يمكن أن تواصلي تمثيل دورك؟ إن خدعتك لن تلبث أن تنكشف! ستورطين نفسك في تهمة ابتزاز بالتهديد.

– ابتزاز؟ ولكني لم أبتز منه شيئًا، ولم أعده بشيء... إني لم أقل شيئًا؛ لأني لا أعرف أي شيء... لقد أراد أن يشتري ما لدي من معلومات، فنقدني مبلغًا من الحساب.. هذا هو كل ما هنالك.

– إن الأمر أكثر تعقيدًا مما تتصورين.. غدًا ستقابلين "**هوايتنج**"، وعندئذ سيطالبك بأن تدلي إليه بما لديك من معلومات. وطبعًا لن يكون لديك ما تدلين به؛ لأنك لا تعرفين شيئًا، فكيف يكون موقفك؟

وعقدت "**كواتسو**" ما بين حاجبيها، وقالت:

– الحق أن هذه مشكلة لم تخطر لي ببال.. مر لنا بقدحين من القهوة السادة.. كان أبي يردد دائمًا: إن القهوة تعين على التفكير..

وجيء بالقهوة، ومضيا يحتسيانها صامتين غارقين في التفكير.

وأخيرًا هتفت "**كواتسو**":

– اسمع يا "**تومي**".. يجب أن نجمع مزيدًا من المعلومات عن هذا الموضوع؛ حتى يتسنى لنا أن نتجه إلى التصرف السليم.

فقال "**تومي**" متسائلا:

– وكيف السبيل إلى هذا؟

– "**هوايتنج**" هو نقطة البداية.. يجب أن نعرف أين يقيم؟ ما هي مهنته الحقيقية؟ من هم أصدقاؤه؟ وأين يقضي سهراته؟.. وباختصار. يجب أن نتجسس عليه.. وواضح أني لن أستطيع أن أقوم بهذا؛ لأنه يعرفني، فعليك أنت أن تتولى هذه المهمة؛ لأنه لا يعلم عنك شيئًا، فحين ذكرت له أنك كنت جالسًا معي في مشرب الشاي، قال: إنه لم يلق إليك بالا.

فسألها "**تومي**":

– ولكن ما الذي تريدينه مني؟

فأجابت:

– هذه هي خطتي.. غداً سأذهب لمقابلة "**هوايتنج**" في الحادية عشرة، ولن يطول حديثي معه، وعند خروجي سأتوارى في ركن قريب من المبنى، فإذا ما رأيته يغادر البيت أسقطت منديلي على الأرض، فتتعرفه وتقوم بتعقب خطواته، فما رأيك؟

فأجاب:

– موافق طبعًا!

في صباح اليوم التالي انطلق الشريكان إلى مقر شركة "**استونيا للاستيراد**"، فوقف "**تومي**" على الإفريز، على حين دخلت "**كواتسو**" إلى المبنى.

ولم تلبث "**كواتسو**" في المبنى إلا دقائق معدودات، ثم ارتدت راجعة، وقالت لصاحبها:

– "**تومي**" المكتب مغلق ولا أحد يرد على الجرس.

– هذا غريب.. فلنحاول مرة أخرى.

ودخلا إلى المبنى معًا، ودقا الجرس، وعلا رنينه متواصلا، ولكن على غير فائدة.

وخرج إليهما موظف في أحد المكاتب المجاورة، وقال لهما:

– إن المكتب مغلق منذ ظهر أمس، وأعتقد أن الشركة انتقلت إلى مكان آخر؛ فإن الشقة معروضة للإيجار.

وسألته "**كواتسو**":

– أتعرف العنوان الجديد؟

– آسف يا آنسة، فإنهم لم يتركوا عنوانًا.

وللمرة الثانية كانا في الطريق واجمين مكتئبين، وقد لاذا بالصمت. وقال لها "**تومي**":

– هوني عليك يا صديقتي، وحسبك الخمسون جنيهًا التي استوليت عليها.

فرفعت إليه عينيها، وفيهما وميض التحدي، وقالت:

– إذا كنت تحسب أن تلك هي النهاية فأنت مخطئ.. تلك هي البداية، وسوف ترى.

– بداية أي شيء؟

– بداية المغامرات.

ثم أردفت:

– ما الذي جعلهم يسارعون إلى الهرب؟ لا شك في أن حكاية "**جين فين**" تنطوي على سر خطير، ولذلك أدركهم الفزع فهربوا. يجب أن نعرف من هي "**جين فين**"؟ وما هي حكايتها؟

فتساءل "**تومي**" في تهكم:

– وكيف السبيل إلى هذا؟

– سوف ترى.. ناولني ورقة وقلمًا.

وناولها الورق والقلم، فخطت بضعة سطور، ودفعت إليه بالقصاصة، وهي تقول:

– انشر هذا الإعلان حالا.

«أريد معلومات عن "**جين فين**".. اكتب إلى "ل. م" الصحيفة نفسها».

- 4 -

في اليوم التالي لظهور الإعلان في صحيفة "**التايمز**" جلست "**كواتسو**" على أريكة وثيرة في المتحف تنتظر "**تومي**" راجعًا من إدارة الصحيفة حاملا إليها الردود. وأخيرًا جاء "**تومي**" يحمل إليها خطابين. فضت أولهما وكان هذا نصه:

«سيدي– ردًا على الإعلان المنشور في صحيفة "**التايمز**" بتاريخ اليوم. أعتقد أن في وسعي أن أكون ذا نفع لك، فهل تتفضل بزيارتي غدًا في الحادية عشرة في العنوان المبين بذيل هذا الخطاب؟ وتفضلوا.. إلخ. "**أ. كارتر**"».

وقال "**تومي**" معقبًا:

– الخطة التي تدور في رأسي في هذه الحالة: أن نذهب معًا لمقابلة "**أ. كارتر**"، فيحمر وجهه غضبًا ويصيح بي: «كم تطلب؟»– كما فعل صاحبنا "**هوايتنج**" معك من قبل، فأجيبه: «خمسون جنيهًا»، فإذا ناولها لي دسستها في جيبي، ثم

نهرع بعدها إلى صاحب الرسالة الثانية ونفوز بخمسين جنيهًا أخرى، فما رأيك؟

فقالت "**كواتسو**" :

– دعك من المزاح، وهيا فض الخطاب الثاني.

وكان هذا نص الخطاب الثاني:

« سيدي العزيز– ردًا على إعلانكم أرجوك أن تحضر لزيارتي غدًا حوالي الظهر.. وتفضلوا.. إلخ– "**جوليوس هيرشايمر**" .

وقال "**تومي**" :

– سنذهب إليه عند الظهر، وهذه ساعة مباركة فقد يدعونا إلى مشاطرته الغداء.

وقالت "**كواتسو**" :

– والآن هيا بنا إلى صاحبنا "**كارتر**" ؛ فقد حان موعده.

وتأمل "**كارتر**" ضيفيه برهة بنظراته النفاذة، وعلى شفتيه ابتسامة جذابة، دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

وتململت "**كواتسو**" في جلستها، وقالت:

– هل لك أن تتفضل بأن تذكر لنا ما تعرفه عن "**جين فين**" ؟

فأخذ يردد:

– "**جين فين**" ! "**جين فين**" !

ثم أردف:

– أليس من الأولى أن تفضيا إليّ أنتما بما تعرفانه عن "**جين فين**" ؟

فقالت "**كواتسو**" في نبرة من الانفعال:

– ليس من أجل هذا جئنا يا سيدي.. لقد حضرنا لنسمع منك أنت ما لديك.

فازدادت ابتسامة الرجل اتساعًا، وقال:

– أهذا هو ما تظنين يا آنسة؟ دعيني إذن أؤكد لك أن الأمر على العكس من ذلك.. ما الذي تعرفانه عن "**جين فين**" ؟

ولبثت "**كواتسو**" صامتة لا تجيب، فقال رب الدار:

– نشركما هذا الإعلان معناه أنك تعرفين شيئًا عن "**جين فين**" ، فهيا هاتي ما

عندك.

وشعرت "كواتسو" بأن عيني الرجل تشعان مغناطيسية، أدارت رأسها، فأشاحت عنه ملتفتة إلى "**تومي**"، وقالت:

– ليس لدينا طبعًا يا "**تومي**" ما نفضي به، أليس كذلك؟

ولشدة دهشتها تحول "**تومي**" إلى السيد "**كارتر**" قائلا:

– إن القليل الذي نعرفه ليس بذي فائدة فيما يبدو لي. ولكن إذا أردت أن تعرفه فلن أضن به.

وهتفت به "**كواتسو**" محذرة:

– "**تومي**"! لا تتكلم! لا تقل شيئًا!

واستطرد "**تومي**":

– لقد عرفتك على الفور يا سيدي مذ وقع عليك بصري، فقد سبق أن رأيتك يومًا تدخل إدارة المخابرات وأنا أزور أبي في مقر عمله في الوزارة.

فابتسم رب الدار، وقال:

– إني هنا لست إلا السيد "**كارتر**"، فارجوك الا تذكر اسمي، هذا البيت هو مسكن ابنة عمي. تعيره لي من آن لآخر؛ لألتقي فيه ببعض الناس بعيداً عن نطاق العمل الرسمي.. والآن هل لكما أن تقصا عليّ حكاية "**جين فين**"؟

وعلى مهل وفي تؤدة أخذت "**كواتسو**" تروي القصة، والسيد "**كارتر**" ينصت إليها في انتباه شديد. وإذ فرغت من روايتها، رمقها بابتسامته المغناطيسية الجذابة، وقال:

– إذن فأنتما شابان جسوران تنشدان المغامرة؟ حسنًا.. ما رأيكما في أن تعملا تحت إشرافي وبتوجيهي؟ سأنقدكما أجراً مناسبًا، وأتكفل بجميع النفقات، فهل توافقان..؟

وتألق وجه "**كواتسو**" اغتباطًا، وتساءلت:

– ولكن من تكون "**جين فين**" هذه؟ إننا لا نعرف عنها شيئًا.

فتأملها "**كارتر**" برهة، ثم قال:

– إن لكما الحق في أن تعرفا عنها كل شيء.

ثم قال:

– منذ بضعة أعوام، وأثناء أزمة سياسية خطيرة، عقدت معاهدة سرية بين "**أمريكا**" و"**إنجلترا**"، وتم التوقيع عليها في "**الولايات المتحدة**". وقد عهد بهذه المعاهدة السرية إلى رجل يدعى "**دانفيرس**" ليذهب بها إلى "**إنجلترا**" لتسليمها إلى وزارة الخارجية.

واستطرد "**كارتر**":

– واستقل "**دانفيرس**" الباخرة "**الباسيفيك**" ومعه المعاهدة ملفوفة في قطعة من القماش مختومة بالشمع الأحمر ومخبأة تحت قميصه.. وهبت لسوء الحظ عاصفة عاتية، أغرقت السفينة "**الباسيفيك**"، وكان "**دانفيرس**" من بين الغرقى، وعثر على جثته بين الحطام، ولكن اللفافة السرية كانت قد اختفت.

تريث "**كارتر**" هنيهة، ثم تابع الحديث:

– هل استولى شخص مجهول على الوثيقة؟.. هناك بعض دلائل قد توحي بشيء، وقد لا تنطوي على شيء على الإطلاق.. فحين أنزلت قوارب النجاة إلى الماء تحدث "**دانفيرس**" برهة إلى فتاة أمريكية على غير سابق معرفة، فهل عهد إليها خفية باللفافة الغامضة؟ لا يسع أحد أن يؤكد هذا أو ينفيه، أما من ناحيتي أنا فأغلب الظن أن "**دانفيرس**" سلم المعاهدة إلى هذه المرأة، وهو يرجو أن تكتب لها النجاة؛ لأن النساء والأطفال ينزلن دائمًا إلى القوارب قبل الرجال.

ومضى "**كارتر**" يستكمل الحديث قائلا:

– فإذا كان الأمر كذلك، فما هو مصير هذه الفتاة الأمريكية؟ وما الذي فعلته بالوثيقة؟ لقد عرفنا فيما بعد أن "**دانفيرس**" كان طوال الطريق متبوعًا بالجواسيس، لا يغفلون عنه لحظة. فهل كانت هذه الفتاة هي الأخرى منتمية إلى المعسكر المضاد؟ هل اقتفى الجواسيس أثرها وانتزعوا منها الوثيقة الخطيرة؟

ومضى يقول:

– وقد بذلنا أقصى جهدنا للعثور على أثر لها، ولكن على غير جدوى. وكان

كل ما عرفناه عنها أنها تدعى "**جين فين**"، وأنها كانت بين الناجين من فاجعة "**الباسيفيك**" وهي يتيمة الأبوين، وأمضت سنواتها الأخيرة في إحدى الكليات، ثم احترفت مهنة التدريس، وبعد ذلك حصلت بطريق المراسلة على وظيفة في إحدى المدارس الداخلية في "**باريس**"، واستخرجت جواز سفر، وحجزت لنفسها مكانًا في الباخرة "**الباسيفيك**".

واستطرد السيد "**كارتر**":

– تلك هي قصة "**جين فين**"، فما إن وضعت قدمها على أرض "**إنجلترا**" حتى اختفت وتلاشت كأنها سحابة من الدخان، أما المعاهدة السرية فلم يظهر لها أثر، مع أننا كنا نتوقع أن تستخدم ضد "**إنجلترا**".

ومن المحتمل أن تكون وثيقة المعاهدة قد فقدت مع السفينة الغارقة. أما إذا كانت لا تزال موجودة، فإن ظهورها ينطوي على خطر كبير يمس "**إنجلترا**"، بل إن ظهورها قد يؤدي إلى قيام حرب عالمية جديدة. وتريث السيد "**كارتر**" هنيهة، ثم استوى يقول:

– وفي هذه البلاد رجل إنجليزي مازلنا نجهل اسمه الحقيقي، يعمل مع الشيوعيين والفاشيست لحسابه الشخصي متواريًا في الظل، فكل إضراب يقوم في "**إنجلترا**"، وكل شغب يثور– يكون هذا الإنجليزي المجهول هو محركه والموحي به. ومما يؤسف له أننا لا نعرف عن هذا العدو الخفي إلا الاسم المستعار الذي ينتحله، وهو السيد "**براون**". ونحن لا نعرف هدفه الحقيقي، غير أن المرجح هو أنه يسعى إلى الاستحواذ على السلطة، وأن يصبح ديكتاتورًا في يده زمام البلاد. وأعوانه وشركاؤه يتلقون أوامره بطريقة سرية غامضة. وفي كل مرة نعتقد فيها أننا اهتدينا إلى آثاره فإذا به يفلت من أيدينا ويختفي في الظل، ثم يتبين لنا بعد أن ينتهي الأمر أن السيد "**براون**" لم يكن إلا ذلك الرجل الذي التقينا به. فلم نحفل بأمره إذ لم يكن أكثر من موظف صغير، أو خادم حقير، أو سكرتير تافه الشأن تتخطاه الأبصار.

وهتفت "**كواتسو**":

– يا إلهي! أتقول إنه يدعى "**براون**"؟ إني أذكر الآن أن الكاتب الذي استقبلني عند زيارتي للسيد "**هوايتنج**" كان يدعى السيد "**براون**".. ألا يجوز أن يكون هو الرجل الغامض الخفي نفسه؟

– ذلك محتمل. فهل لك أن تصفيه..؟

فتريثت "**كواتسو**" برهة مفكرة، ثم أجابت:

– إنه مجرد شخص عادي.. إنه يشبه أي إنسان.. فقد دخل على السيد "**هوايتنج**" أثناء حديثنا وأعطاه رسالة تليفونية، فما كان منه إلا أن بتر حديثه معي ونقدني الخمسين جنيهاً.

– لابد أن السيد "**براون**" كان يتسمع حديثكما، وهو الذي أمر "**هوايتنج**" بأن يقطع الحديث وأن يحثك على التعجيل بالانصراف.

وبعد سكتة قصيرة، قال السيد "**كارتر**":

– يجب ألا أكتم عنكما أنكما بقبول هذه المهمة ستستهدفان لخطر جسيم، فإن السيد "**براون**" رجل خطر لا يتورع حتى عن القتل لتحقيق أهدافه.

فقالت "**كواتسو**" في حماس:

– لقد قبلنا المهمة ولن ننكص.

فقال "**كارتر**":

– يجب أن تعثري على الوثيقة السرية. أتراها فقدت في البحر؟ أتراها وقعت في يد شخص ما؟

فتساءل "**تومي**":

– إذا كانت وقعت في يد شخص مجهول. فلماذا لم يستخدمها حتى الآن؟

– لأنها مكتوبة بالشفرة. فلعله لم يفلح حتى الآن في حل رموزها.

ثم أردف:

وثمة شيء آخر: إنه من المحتمل هو أن تكون "**جين فين**" قد ماتت منذ زمن طويل، ولعل السيد "**هوايتنج**" أراد أن يضللنا عن الحقيقة، فدعاك إلى مقابلته ليطلب إليك أن تنتحلي اسم "**جين فين**" وأن تنزلي في فندق السيدة "**كولومبا**"

في "**باريس**"، ثم يرشدنا بعد ذلك إلى مكانك لنطمئن إليك ونحسبك "**جين فين**" الحقيقية، فنفضي إليك بما لدينا من معلومات.

– يا لها من خطة عجيبة!

فقال السيد "**كارتر**":

– ألم أقل لك إن السيد "**براون**" رجل عبقري، مفرط في الذكاء؟

- 5 -

قال "**تومي بريسفورد**" موجهًا الحديث إلى السيد "**كارتر**":

– ألديك يا سيدي تعليمات معينة تصدرها إلينا؟

فهز "**كارتر**" رأسه نفيًا، وقال:

– أخشى ألا يكون لدي شيء.. لقد فشل رجالي بأساليبهم التقليدية في تحرياتهم. ولم يصلوا إلى شيء.. إني لا أريد أن أثبط همتكما، ولكن يجب أن أصارحكما بأن مهمتكما عويصة معقدة وأن الموقف خطير. إن العمال يهددون بالقيام بإضراب شامل، والذي أخشاه هو أن تستخدم الأيدي التي تحركهم المعاهدة السرية سلاحًا للتهديد حتى يرغموا الحكومة على تقديم تنازلات جسيمة. فقد لوحوا بأن المعاهدة تحت أيديهم، وتوعدوا بنشرها، وإن كانت الحكومة تعتقد أن ذلك الادعاء مجرد خدعة من جانبهم. ونهضت "**كواتسو**" واقفة تزمع الانصراف، وهي تقول:

– هل لي أن أسألك يا سيد "**كارتر**".. إلى أي مدى نستطيع أن نعتمد عليك؟

فأجاب:

– سأمدكما بكل ما يصل إليّ من معلومات، وسأنقدكما أجرًا طيبًا معقولا، ولكن يجب ألا يغيب عنكما أنكما تعملان معي بصفة غير رسمية، فإذا تورطتما في مشكلة مع الشرطة، فلن يتسنى لي أن أخف لنجدتكما. يجب أن يكون واضحًا لكما من الآن أنكما تعملان لحسابكما الشخصي، ولا شأن لي بكما من

الوجهة الرسمية. وعادت "**كواتسو**" تتساءل:

– وماذا بشأن الأجر الذي نتقاضاه؟

– إذا احتجتما مالا لنفقاتكما، فاتصلا بي في هذا العنوان، يصلكما المال على الفور، أما الأجر فهو ستمائة جنيه في العام ومثلها للسيد "**بريسفورد**".

فقالت "**كواتسو**" باسمة:

– شكراً لك يا سيدي. فإني امرأة أحب المال حبًّا جمًّا.

– حسنًا.. والآن إلى اللقاء، وأرجو لكما حظًّا سعيداً موفقًا.

وقال لها "**تومي**" وهما في الطريق:

– لقد صدقت نبوءتك حين قلت إن ما حدث كان بداية لمغامرات لا نهاية لها.. والآن هيا بنا نتناول الغداء، فقد كدت أموت جوعًا.

فهتفت به "**كواتسو**":

– أنسيت موعدنا مع السيد "**جوليوس هيرشايمر**"؟

– آه..! لقد كدت حقًّا أنساه.

وإن هي إلا دقائق حتى كانا في فندق "**ريتز**" يسألان عن الجناح الذي ينزل فيه السيد "**جوليوس هيرشايمر**". وتلقاهما الرجل بابتسامة لطيفة، وابتدرهما بهذا السؤال:

– ترى، ما الذي تعرفانه عن ابنة عمتي؟

– ابنة عمتك؟

– نعم.. "**جين فين**".. إنها ابنة عمتي.

– إذن فلا شك في أنك تعرف مكانها؟

– هذا هو الشيء الذي أجهله بكل أسف.

وخبط المنضدة بقبضة يده، وهو يقول:

– هذا هو ما يثير غضبي. فهل تعرفان أنتما مقرها؟

فقالت "**كواتسو**" في نبرة من التحدي:

– ألم تقرأ الإعلان يا سيد "**هير شايمر**"؟ لقد قلنا إننا نريد معلومات، لا أن نقدم

معلومات.

فقال ساخرًا:

– تأكدي أني أجيد القراءة، ولكني أريد أن أعرف شيئًا عن ماضيها وأين هي الآن؟

فقالت "**كواتسو**":

– ونحن أيضًا نريد أن نعرف ماضيها.

فقال السيد "**جوليوس هير شايمر**" وهو يتأمل "**كواتسو**" بنظرة فاحصة:

– أرجو أن تصارحيني بالحقيقة.. هل أنتما من أعضاء العصابات؟ هل في نيتكما أن تطالباني بفدية عنها مثلا؟ اسمعي يا فتاتي.. إننا في "**إنجلترا**"، وهذه البلاد ليست مسرحًا لعصابات الاختطاف. أم لعلك تريدين أن أستدعي ذلك الشرطي الذي يتبختر عند الإفريز؟!

وبادر "**تومي**" إلى التدخل في الحديث بقوله:

– إننا لم نختطف ابنة عمتك، بل على العكس نحن نسعى إلى العثور عليها. لقد نقدنا أجرًا لكي نبحث عنها.

ومضى "**تومي**" يروي له قصة موجزة عن اختفاء "**جين فين**"، وأنه من المحتمل أنها متورطة في مشكلة سياسية، وأنهما مكلفان بالبحث عنها باعتبارهما من المخبرين الخصوصيين، ولهذا فهما في حاجة إلى شيء من المعلومات؛ لكي يشرعا يؤديان مهمتهما. فتريث السيد "**هير شايمر**" برهة متأملا، ثم قال:

– فليكن.. وجها إليّ ما شئتما من أسئلة وسوف أجيب.

وأدهشتهما هذه الاستجابة السريعة التي أبداها. وسألته "**كواتسو**":

– متى رأيت ابنة عمتك لآخر مرة؟

– إني لم ألتق بها قط.

– ماذا تقول؟ ألم تقابلها مطلقًا؟

– نعم، فقد كان أبي وأمها على خلاف دائم، وبينهما قطيعة متصلة. وعندما قررت عمتي أن تتزوج "**آموس**" الذي يعمل مدرسًا في قرية صغيرة هاج أبي

غاضبًا، وهددها بألا يمنحها سنتًا واحدًا، فما كان من عمتي إلا أن هجرت البيت وتزوجت مدرسها، ولم نعد نسمع عنها شيئًا بعد ذلك.

واستطرد السيد "**هير شايمر**":

– وقد وفق أبي في أعماله التجارية كما كان يتوقع، وأثرى ثراء فاحشًا، وأصبح من أقطاب صناعة الصلب والبترول والسكك الحديدية، ومات وهو من رجال المال المعدودين في شارع "**وول استريت**"، وورثت عنه أمواله الطائلة. وأرجو أن تصدقاني إذا قلت لكما إني شعرت بالندم وتأنيب الضمير حين فكرت في عمتي الفقيرة المسكينة، وعهدت إلى بعض المخبرين الخصوصيين بالبحث عنها، فجاءوني بأنها ماتت وأنها رزقت بفتاة تدعى "**جين فين**"، وأن هذه الفتاة هاجرت من "**الولايات المتحدة**" إلى "**باريس**"، ولكن الباخرة التي استقلتها غرقت أثناء الرحلة، ولكن يبدو أنها كانت بين الناجين، وإن لم أهتد إلى أثرها حتى الآن، وقد لجأت إلى "**اسكتلانديارد**" وإلى إدارة الأمن العام في "**باريس**"، ولكنهما كانا يجهلان كل شيء عن "**جين فين**"، وقد زارني رجل الشرطة اليوم، وأعطيته صورة لابنة عمتي علها تساعدهم في البحث عنها.

واستطرد السيد "**هير شايمر**":

– أرجوكما أن تساعداني في البحث عن ابنة عمتي. وما دمتما من المخبرين الخصوصيين، فإني أعهد إليكما بهذه المهمة، وستتناولان الغداء معي؛ حتى تتاح لنا فرصة أكبر للإفاضة في الحديث.

وهبطوا إلى مطعم الفندق، وفيما هم مقبلون على التهام السمك، جاء النادل يحمل بطاقة للسيد "**هير شايمر**". تطلع المليونير الأمريكي في البطاقة، وهمس يقول:

– السيد "**جاب**" من "**اسكتلانديارد**"؟ هذا شرطي آخر منهم يزعجني بزيارته، ولكن على غير فائدة. أرجو ألا يكونوا قد أضاعوا صورة "**جين فين**" التي أعطيتها لهم اليوم، فإنها الصورة الوحيدة التي لدي، ولا يمكن استخراج نسخة أخرى منها؛ فقد احترق الاستديو الذي قام بالتقاطها، وأتت النيران على كل شيء فيه، وقد

زودتني بها إدارة الكلية التي تلقت فيها "**جين فين**" دراستها.

وفجأة استبد بـ"**كواتسو**" هاجس مزعج. سألته:

– أسبق لك أن التقيت في "**اسكتلانديارد**" بالشرطي الذي زارك صباح اليوم وأخذ الصورة؟

فهز رأسه نفيًا وقال:

– كلا.. إني لم أقابله إلا صباح اليوم.

– أو تعرف اسمه؟

– اسمه؟ كلا.. لست أذكره، ولكن ها هي ذي بطاقته معي.

ودس يده في جيبه وأخرج البطاقة وقدمها إليها.

وتطلعت "**كواتسو**" في البطاقة، وقرأت الاسم المسطور عليها.

كان الشرطي المزعوم يدعى: السيد "**براون**".

- 6 -

ليست بنا حاجة إلى القول بأن السيد "**براون**" لم يكن معروفًا في "**اسكتلانديارد**"، وأن الصورة الوحيدة لـ"**جين فين**" اختفت أيضًا، شأنها في ذلك شأن صاحبتها. وهكذا انتصر السيد "**براون**" مرة أخرى. كان حادث ضياع الصورة ووقوع السيد "**شايمر**" في هذه الخدعة سببًا في توثيق الصلة بينه وبين المغامرين الجسورين، فصارحته "**كواتسو**" بحقيقة المهمة الموكولة إليهما، إنهما ليسا بالمخبرين الخصوصيين. ورأت "**كواتسو**" أن تتخذ من فندق "**ريتز**" مقرًا لإقامتها وشريكها، حتى يكونا– على حد قولها – على كثب من قريب "**جين فين**" الوحيد، بخاصة أن النفقات على الدولة.

وقالت "**كواتسو**":

– لدينا آثار مهمة، يمكن أن نتخذ منها نقطة البداية، فنحن أولا نعرف

"**هوايتنج**" وقد التقينا به، أما هم فلا يعرفونه ولم يقابلوه.

– أكبر الظن أننا لن نلقاه بعد هذا مرة أخرى.

– وما يدريك..؟ إن المصادفات تلعب دوراً خطيراً في الحياة. كما أن لدينا الأثر الثاني نتخذ منه نقطة انطلاق. لدينا "**ريتا**".

فتساءل "**تومي**":

– ومن تكون "**ريتا**" هذه..؟

– أنسيت أن السيد "**هوايتنج**" أشار إلى اسمها عند مقابلتي له، وسألني عما إذا كانت هي التي أفشت إليّ السر؟

فقال ساخراً:

– لعلك تريدين أن تنشري إعلانًا تقولين فيه: «إننا نبحث عن "**ريتا**" العضو في إحدى عصابات النصب والاحتيال؟»

فلم تأبه "**كواتسو**" بسخريته، ومضت تقول:

– اسمع.. إني أفكر تفكيراً منطقيًّا سليمًا.. لقد قال "**كارتر**" في حديثه معنا إن "**دانفيرس**" حامل المعاهدة السرية كان متبوعًا بالجواسيس وهو على ظهر الباخرة "**الباسيفيك**"، فلم لا تكون امرأة هي التي تعقبته؟

– هذا محتمل.

– بل هذا أمر مؤكد، وهذه المرأة الجاسوسة لابد أن تكون هي "**ريتا**". وإلا فمن أين لـ"**ريتا**" أن تكون على علم بسر المعاهدة، حتى تكاشفني به كما تبادر إلى ذهن السيد "**هوايتنج**"؟ لا شك في أن "**ريتا**" رأت الرسول "**دانفيرس**" وهو يسلم اللفافة السرية إلى "**جين فين**".

فهتف "**تومي**" في إعجاب:

– لكأني بك "**شارلوك هولمز**" في استنتاجاته الرائعة!

واستطردت "**كواتسو**":

– إذن علينا أن نفحص قائمة الركاب الذين نجو من الغرق.

– وأنّى لنا الحصول عليها؟

- إنها معي.. فقد ورد إليّ خطاب من السيد "**كارتر**" يتضمن بعض البيانات، وكانت هذه القائمة من بينها.

- وهل ورد فيها اسم "**ريتا**"؟

- لا أدري، فأسماء النساء جميعًا قاصرة على لقب الأسرة دون الاسم الأول.

- وهذا ما يسد أمامنا الطريق.

- إذن علينا أن نسعى إلى معرفة الاسم الأول لكل واحدة منهن، وخاصة المقيمات منهن في "**لندن**"، فهيا دوّن العناوين ريثما أرتدي ثيابي.

وإن هي إلا خمس دقائق حتى كانا أمام باب أول اسم في القائمة: السيدة "**إدجار كيث**"، المقيمة في طريق "**جيلندور**" رقم 7، وقبل أن تهم "**كواتسو**" بدق الجرس، سألها "**تومي**":

- ماذا ستقولين لها؟

- الحق أني لا أدري، فإني لم أفكر في هذا من قبل.

- إذن دعي الأمر لي.

وتنحت "**كواتسو**" عن الباب، وراح "**تومي**" يضغط الجرس. وخفت إليه خادمة مبعثرة الشعر، فسألها بعد أن حياها:

- إني مندوب البلدية.. من قسم مراجعة أسماء الناخبين.. هل هذا بيت السيد "**إدجار كيث**"؟

فأجابته الخادمة:

- نعم.

فسألها:

- وما هو الاسم الأول للسيدة زوجته؟

فأجابت:

- "**إلينور جين**".

- وهل لها أولاد، أو بنات في سني البلوغ؟

- كلا يا سيدي.

وشكرها "**تومي**" ورجع إلى شريكته قائلا:

- أرأيت كيف أحسنت التصرف؟ مجرد لعبة أطفال؟

فقالت:

- في هذه المرة يجب أن أعترف بأنك انتصرت عليّ.

واستخدما الخدعة نفسها عدة مرات. ولكن دون أن يجدا من تدعى "**ريتا**".

وقالت "**كواتسو**":

- إن الساعات تمر، والفشل يلاحقنا، حتى لقد بدأ اليأس يداهمني.

- إن الذي أخشاه أن يبرز إلينا السيد "**براون**" من أحشاء الظلام، فيغمد خنجره في ظهرينا.

فقالت "**كواتسو**" ضاحكة:

- في هذه الحالة سنموت شهيدين ويخلد اسمانا في سجل التاريخ.

وانتهيا أخيرًا إلى عمارة "**أودلي**" بالقرب من حديقة "**لين**"، ودق "**تومي**" الجرس منتحلا للمرة العاشرة وظيفة مندوب البلدية- قسم مراجعة أسماء الناخبين.

وأجابت الخادمة العجوز التي فتحت الباب على سؤاله بقولها:

- الاسم الأول للسيدة هو "**مرجريت**".

وهم "**تومي**" بأن يشكرها ويستدير منصرفًا، ولكن فكرة جريئة انبثقت في ذهنه، فلم يتردد في أن يقول:

- إن الاسم المدون في سجل الناخبات هو "**ريتا**".

وأجابت المرأة العجوز:

- تمامًا يا سيدي.

- شكرًا لك يا سيدتي.. طاب مساؤك.

وهبط الدرج إلى "**كواتسو**" وهو يكاد يطير فرحًا وأفضى إليها بما اكتشف.

ولمحت "**كواتسو**" رجلين ينزلان السلم، فجذبت "**تومي**" من ذراعه واختفت وراء أحد الأعمدة، وهمست في أذنه قائلة:

- الرجل الضخم هو "**هوايتنج**" فهيا اتبعه ولا تدعه يغيب عن بصرك لحظة.

- 7 -

مشى "**هوايتنج**" وصاحبه مسرعين، وانطلق "**تومي**" في أثرهما يتعقب خطواتهما. وانتهت بهم المسيرة إلى شارع "**أكسفورد**"، فجد "**تومي**" في خطاه واقترب منهما، مطمئنًا إلى أنهما لن يفطنا إليه، وهو مندس في غمرة الزحام. وتناهت إلى سمعه من حديثهما كلمات متناثرة غير مترابطة، فسمعهما يرددان كلمات: «الشيوعية.. والحكومة.. والإضرابات.. والفاشيست»، ولكنه عجز عن أن يتبين ما يقولان، ولم تطرق مسامعه إلا عبارة واحدة حين اتفق أن اشتد اقترابه منهما. سمع "**هوايتنج**" يقول:

– إنك لا تعرف "**فلوزي**" يا عزيزي "**بوريس**". إنها فتاة رائعة.

ولم يسمع الرد الذي أجاب به ذلك الذي يدعى "**بوريس**"، وإن كان قد سمع "**هوايتنج**" يقول:

– مفهوم طبعًا، وإن كنا لن نلجأ إلى هذا إلا في حالة الضرورة فقط.

وتوقفا عند الإفريز يتحدثان، وبعد لحظات وصلت إلى أذني "**تومي**" كلمة واحدة تفوه بها "**هوايتنج**"، إذ قال:

– سيد "**براون**".

وضحك "**بوريس**" قائلا:

– ولم لا يا صديقي..؟ والحق أني أتمنى أن ألتقي بهذا السيد "**براون**" ولو مرة واحدة.

– وما يدريك أنك قابلته دون أن تدري. إنه هو..؟

– أتعلم أنه يخيل إليّ في بعض الأحيان أنه اسم خرافي اخترعته المنظمة لتضليل الشرطة؟ وفي أحيان أخرى أعلم عن يقين أنه شخص حقيقي موجود في وسطنا، لا يعرف شخصيته إلا نخبة من الأخصاء، فقد أكون أنا، أو أنت، أو أي واحد فينا هو السيد "**براون**"! لا أحد منا رأى وجهه حتى اليوم.

ولوح "**هوايتنج**" بيده يستوقف سيارة أجرة، وانطلق "**تومي**" في أعقاب الرجلين حتى انتهت به المطاردة إلى كشك التذاكر في محطة "**ووترلو**"، فابتاع "**هوايتنج**" تذكرة إلى "**بورتماوث**" وكذلك فعل "**تومي**".

وسمع "**بوريس**" يقول له:

- ما زالت أمامك نصف ساعة.

وكان في هذه الكلمات ما أثار فكرة معينة في رأس "**تومي**". من الواضح أن "**هوايتنج**" هو وحده الذي سيسافر، أما "**بوريس**" فسوف يبقى في "**لندن**"، فلا مناص أمامه من أن يتبع أحدهما دون الآخر؛ إذ يستحيل أن يقتفي أثر الاثنين في وقت واحد. وإذ رأى "**تومي**" الرجلين يجلسان في مشرب المحطة يتناولان قدحين من الشاي، لم يضيع دقيقة واحدة، بل هرع إلى مقصورة التليفون واتصل بفندق "**ريتز**" وطلب الاتصال بالسيد "**هير شايمر**"، وقال له:

- أنا "**بريسفورد**".. إنني الآن موجود في محطة "**ووترلو**" أقتفي خطوات "**هوايتنج**" وصديق له. و"**هوايتنج**" مسافر إلى "**بورتماوث**" بقطار الثالثة والنصف، فهل يمكن أن توافيني قبل هذا الموعد؟ إني في حاجة إليك، وسأشرح لك الأمر فيما بعد.

وكان الرد:

- لا تقلق.. سأكون لديك حالا.

ورجع "**تومي**" إلى المشرب، ووقف على مسافة منه يرقب الرجلين وهما يتناولان الشاي.

وفجأة أحس بيد تلمس كتفه، وحين استدار ألفى نفسه وجهًا لوجه أمام "**هير شايمر**".

وسأله الأمريكي:

- أين العصافير؟

- في مشرب الشاي.. هذا الرجل الضخم الجسم هو "**هوايتنج**" فعليك أن تتعقبه، أما أنا فسأتبع زميله.

وبعد لحظات جاء القطار، وصعد إليه "**هوايتنج**" وفي أعقابه "**هير شايمر**"، أما "**تومي**" فتبع "**بوريس**" إلى خارج المحطة. واتجه الرجلان إلى حي "**سوهو**"، وتوقف "**بوريس**" أمام أحد البيوت، وصعد الدرج الخارجي، ثم طرق الباب بطريقة معينة يبدو أنه متفق عليها، وفتح الباب، وتفوه "**بوريس**" بكلمة، أو اثنتين فتنحى البواب عن مكانه وأدخله، وأغلق الباب وراءه. وعند هذا فقد "**تومي**" صوابه، وأقدم على أجرأ عمل يمكن أن يقدم عليه إنسان. طرق الباب النقرات نفسها المتفق عليها، وتلقاه البواب متطلعاً إليه وسأله عما يريد، وأدرك من ذلك أنه لابد أن ينطق الكلمات نفسها التي نطق بها "**بوريس**" من قبل، وإلا فلن يؤذن له بالدخول.

وحار في أمره. لا يدري ما عساها تكون هذه الكلمات. وبنوع من الإلهام قال:

– السيد "**براون**". ولشدة ما كانت دهشته حين تنحى البواب عن المدخل، وهو يقول:

– الطابق الأول، الباب الثاني إلى اليسار.

- 8 -

حين رأى "**تومي**" البواب يتنحى عن الباب، لم يتردد في الدخول، وقد طابت له المغامرة الجسورة. ومن وراء أحد الأبواب الواقعة إلى اليسار، تناهت إلى سمعه همهمة أصوات خافتة، وسمع اسم السيد "**براون**" يتردد أكثر من مرة. ورأى في الطرقة ستاراً مسدلا يحجب مدخلا صغيراً في صدره باب يؤدي إلى غرفة أخرى. وسمع باب البيت يقرع بالطريقة المعينة المتفق عليها، فأدرك أن زائراً جديداً من أفراد العصابة قد حضر، فما كان منه إلا أن هرع إلى مخبئه يتوارى خلف الستائر. ومر القادم أمام المخبأ، وطرق الباب الثاني إلى اليسار. الطرقات الخاصة نفسها التي قرع بها الباب الخارجي، وفتح الباب، فرأى منضدة كبيرة ينتظم حولها أربعة– أو خمسة أشخاص، يتصدرها رجل ذو لحية صغيرة مدببة، يبدو أنه الرئيس. وقال

الرئيس يسأل القادم الجديد وهو ما زال في مدخل القاعة: ما رقمك؟ وأجاب: 14.

– تماماً.. ادخل.

ودخل الرجل، وأوصد الباب وراءه. وعاد "**تومي**" إلى مكانه يسترق السمع وراء الباب المغلق، ومن جديد جاءته الطرقات على الباب الخارجي، فارتد إلى موضعه الخفي، وتكرر المشهد نفسه.

وطال الوقت دون أن يطرأ جديد، ثم جاء زائر آخر واضطر "**تومي**" إلى أن يبادر إلى المخبأ الخفي.

وحين فتح له الباب وتبدى في مدخل الغرفة. نهض الرئيس واقفاً وسمعه "**تومي**" يخاطبه بقوله:

– إنه لشرف عظيم أن تحضر اجتماعنا.

وأجاب الرجل:

– كانت هناك بعض الصعوبات، ولكنني رأيت أنه لابد من حضوري؛ لنتداول الرأي للمرة الأخيرة في مشروعاتنا. ويجب أن أعترف بأنه لولا مؤازرة السيد "**براون**" لما تسنى لي أن أفعل شيئاً في هذه البلاد، أهو موجود هنا؟

فأجابه الرئيس:

– لقد تلقينا منه رسالة يعتذر فيها عن عدم الحضور.

فابتسم القادم الجديد، وعقب بقوله:

– آه.. لقد سمعت عن أساليبه.. إنه يؤثر أن يعمل في الظل، ولا يكشف عن شخصيته لأحد. ولعله الآن جالس بيننا ونحن لا ندري.

– على أية حال فلنبدأ الاجتماع.

وقال له الرئيس:

– أرجوك أن تجلس بجانبي يا رقم واحد.

وعندئذ لم يعد "**تومي**" يسمع شيئاً، فقد بادر أحدهم إلى إغلاق الباب. ومن جديد خرج "**تومي**" من مخبئه، وألصق أذنه بالباب المغلق يرهف السمع، ولم تبلغ

أذنيه إلا همهمة خافتة لم يتبين منها إلا كلمات متناثرة. ولم يتردد "**تومي**" استقرت يده على المقبض، وأخذ يديره في حركات بطيئة متمهلة إلى أقصى حد؛ حتى لا يصدر منه صرير ينكشف به أمره. ثم حاول أن يدفع الباب فاستعصى عليه، فأدرك أنه مغلق من الداخل بالمفتاح، أو بالمزلاج. ومن جديد أخذ يعيد المقبض إلى وضعه الأول. وطرأت له فكرة أخرى: مضى إلى الباب المحتجب وراء الستار، وحرك مقبضه فدار في يده وفتح الباب، فإذا به في مخدع نوم. وكان من حسن حظه أن للمخدع بابًا متصلا بغرفة الاجتماع، فاتجه إليه على أطراف أصابعه، وحرك مقبضه إلى نهاية دورته، ثم دفع الباب قليلا فاستجاب له. رأى وراء الباب ستارًا يحجب الرؤية، ولكن لا يحول دون الاستماع. وجاءه صوت ذو لكنه أيرلندية:

– كل هذا عظيم، ولكننا في حاجة إلى المال.

وسمع "**تومي**" صوتًا آخر رجح لديه أنه صوت "**بوريس**"، وكان يقول:

– إذا توفر المال كانت النتائج مضمونة.

وران السكون برهة على الحاضرين، ثم تكلم «رقم واحد» قائلا:

– سيكون لديكم ما تبتغون من مال، أما القرض الذي تطلبه الصحيفة الإنجليزية، فسيتولى "**بوريس**" أمره.

وجاء إلى أذني "**تومي**" صوت الرئيس قائلا:

– لقد عهد إليّ السيد "**براون**" بأن أعرض عليكم تقارير النقابات وموقفها: إن نقابة عمال المناجم في حالة تاهب كامل.

وساد الصمت من جديد، ولم يعد "**تومي**" يسمع إلا حفيف أوراق. وأخيرًا ارتفع صوت رقم واحد يقول:

– وما هو التاريخ المحدد؟

وأجابه الرئيس:

– 29 من الشهر الجاري.

– أليس هذا الموعد مبكرًا أكثر مما ينبغي؟

– ربما، ولكن الزعماء اليساريين هم الذين حددوه، ولا يسعنا أن نعترض؛ إذ ينبغي أن نشعرهم بأنهم أحرار فيما يرون، وليس من حق أحد أن يوجههم أو يسيطر عليهم، وأنهم فيما يفعلون لا يتحرون إلا مصلحتهم الخاصة.. إنهم قوم شرفاء ولكننا سنستغل غفلتهم.

فقال رقم واحد:

– وبعد أن تستقر الأمور سيكون من السهل علينا أن نتخلص منهم.

وقال الرئيس:

– ولكن علينا منذ الآن أن نتخلص من "**كليمس**"، فقد أصبح يشك فينا، وسيتكفل رقم 14 بأمره.

ورد أحدهم هو دون شك رقم 14:

– وهب أني وقعت في أيدي الشرطة؟

– وما الذي تخشاه؟ إن أعظم محام في "**إنجلترا**" هو الذي سيتولى الدفاع عنك.

وتساءل رقم واحد قائلا:

– إذن فنجاح الخطة مضمون؟

وأجاب الرئيس:

– مضمون تماما.

ثم استطرد يقول:

– ومع ذلك فهنالك صعوبة واحدة. إن اليمينيين من أعضاء النقابة– وهم الأغلبية– يرفضون أن يعلنوا الإضراب يوم 29، إلا إذا كان الرأي العام يؤيدهم، فإن لم يتحقق هذا، فإنهم يؤثرون التفاوض مع الحكومة وقبول بعض التنازلات.

فقال رقم واحد:

– ولكني كنت أعتقد أن هناك وثيقة سرية يمكن أن تضمن النجاح.

فقال الرئيس:

– هذا صحيح، فإذا نحن سلمنا هذه الوثيقة إلى زعماء النقابة، كانت النتيجة سريعة ومباشرة، فإنهم سينشرونها في طول البلاد وعرضها، وسيترتب على إذاعتها

قيام الثورة.

تساءل رقم واحد:

- وما الذي يقعدكم عن استخدامها؟

- الوثيقة نفسها.. فإنها ليست تحت أيدينا.

- ولكنكم تعرفون مكانها طبعًا؟

- كلا بكل أسف.. شخص واحد هو الذي يعرف مكانها.

- ومن يكون هذا الشخص؟

وأرهف "**تومي**" أذنيه وركز انتباهه؛ حتى لا يفوته الاسم. وأجاب الرئيس:

- امرأة.

فتساءل رقم واحد في غضب:

- ولِمَ لَم تجبروها على الكلام؟

- لقد أبت أن تتكلم.

- وأين هذه المرأة الآن؟

واشتدت لهفة "**تومي**" إلى سماع الجواب، بيد أنه لم يسمع بعد هذا شيئًا. فقد تلقى على رأسه ضربة شديدة أفقدته الوعي، وغاب في طوايا الظلام والنسيان.

- 9 -

ما إن انطلق "**تومي**" في أعقاب "**هوايتنج**" وصاحبه عند مغادرتهما بيت "**ريتا**" أي "**مرجريت فانديمير**"، حتى انصرفت "**كواتسو**" بدورها ماضية إلى فندق "**ريتز**". ولكنها ما سارت بضع خطوات حتى ارتدت راجعة إلى بيت "**ريتا**"، وقد استقر رأيها على أن تمضي في تحرياتها عن الفتاة بدلا من أن تخلد إلى الكسل والتراخي في انتظار عودة "**تومي**" من مهمته. عادت إلى المبنى مرة أخرى، واتجهت مباشرة إلى عامل المصعد وفي نيتها أن تجاذبه أطراف الحديث؛ علها تخرج منه

بشيء من المعلومات. واقتربت منه "**كواتسو**"، وهمست في صوت خافت:

– إني أريد أن أسر إليك بكلمة يا "**ألبرت**".

وفي حركة مسرحية كشفت عن ثنية التايير الذي ترتديه، قالت:

– أتعرف هذه الشارة يا "**ألبرت**"؟

وكانت «هذه الشارة» هي شارة عضويتها في نادي قريتها التي هجرتها منذ سنوات طويلة.

وحملق الفتى إلى الشارة، واستطردت "**كواتسو**" هامسة:

– إنني شرطية أمريكية.

وبسهولة غير منتظرة وقع "**ألبرت**" في الفخ المنصوب. واستطردت:

– أتريد أن تعمل مساعداً لي؟

ازدهاه الفخر، وطابت له المغامرة.. سيكون إذن شرطيًّا سريًّا.. وهمس:

– مساعداً لك؟ لكم أتمنى أن أكون شرطيًّا سريًّا.

واستطردت "**كواتسو**":

– إني أقوم ببعض التحريات.

– عن أحد سكان المنزل؟

– إنك طبعًا كتوم يا "**ألبرت**" تحفظ السر وتصونه. إني أتحرى عن هذه المرأة "فانديمير" المقيمة في الطابق الثاني.

فتساءل:

– هل هي لصة؟

فأجابت:

– ويا لها من لصة..! إننا في "**أمريكا**" نطلق عليها لقب "**ريتا الحمراء**".

فرد "**ألبرت**" وقد اشتد به الحماس والانفعال:

– "**ريتا الحمراء**"؟ إذن فقد كانت "**آني**" على حق.

– ومن تكون "**آني**" هذه؟

– وصيفتها.. وهي تنوي أن تترك العمل اليوم.

ثم استطرد:

– كانت "آني" تقول دائمًا: إنه لن يدهشها أبدًا أن ترى البوليس يقتحم المسكن ويقبض على السيدة.

فقالت "**كواتسو**":

– وهذا سوف يحدث في يوم من الأيام. وبهذه المناسبة. هل تتحلى هذه السيدة بالزمرد والألماس؟

فأجاب:

– نعم.. نعم.. لديها عقد من الزمرد الأخضر.

– هذا هو العقد الذي نبحث عنه.. أتدري من أين سرقته؟ من المليونير "**ريسديل**".

– ملك البترول في "**أمريكا**"؟ إن الصحف تردد اسمه كثيرًا.

– هذا العقد يساوي مليون دولار.

– يا إلهي..! إنه يساوي ثروة..!

– لابد من القيام ببعض التحريات والبحث عن الأدلة.. ولكن إياك أن تفشي كلمة مما قلته لك.

فقال في حماس:

– أقسم أني سأكون كتومًا.. أرجوك أن تثقي بي.

– إني أثق بك يا "**ألبرت**". ولذلك سأتخذ منك مساعدًا لي.

وسألها:

– وما الذي تبغينه مني؟

فتريثت "**كواتسو**" برهة مفكرة، ثم سألته:

– لماذا قررت وصيفتها "آني" أن تترك خدمتها؟

– لقد تشاحنت معها؛ لأنها سيدة متعجرفة مستعلية.

وطرأت لـ"**كواتسو**" فكرة جريئة، فقالت:

– اسمع يا "**ألبرت**".. هل يمكن أن تقول للسيدة إن لك ابنة عم، أو صديقة

مثلا تعمل وصيفة، وإنه يمكنك أن تلحقها بخدمتها. ثم تقدمني إليها بهذه الصفة؟

– هذا أمر سهل.. يمكنك أن تعتمدي عليّ.

– إذا نجحت الخطة أجزلت لك المكافأة.. فليكن موعدنا إذن الحادية عشرة من صباح الغد.

رجعت "**كواتسو**" إلى الفندق وسطرت كلمة للسيد "**كارتر**" تبلغه فيها التطورات الجديدة، ثم أمضت ما تبقى من نهارها في الطواف بالمتاجر واختتمت جولتها بالذهاب إلى الحلاق، وطلبت إليه أن يزيل حاجبيها، كما اشترت منه باروكة شقراء. ورسمت حاجبيها بطريقة تختلف عما كانت عليه من قبل، ووضعت الباروكة الشقراء على رأسها، فإذا بها امرأة أخرى تختلف عن "**كواتسو**" اختلافًا بينًا.

تأملت نفسها في المرآة، وقالت لنفسها:

– لن يعرفني أحد وأنا على هذه الصورة.

ثم خلعت الباروكة، ودستها في حقيبتها، وعادت إلى فندق "**ريتز**"، وتناولت عشاءها وحدها، وقد أدهشها إلى حد ما عدم عودة "**تومي**" من مهمته، كما كان "**جوليوس هير شايمر**" أيضًا متغيبًا عن الفندق. وحمل إليها بريد الصباح الرسالة التالية من السيد "**كارتر**":

«عزيزتي الآنسة "**كواتسو**" – أهنئك على خطتك الجديدة، بيد أني أرى من واجبي أن أنبهك إلى المخاطرة التي تستهدفين لها، فإذا رأيت أن تتنحي عن مهمتك، فلا لوم عليك ولا تثريب. أما إذا مضيت في تنفيذ خطتك فيمكنك أن تذكري للسيدة "**فانديمير**" أنك عملت وصيفة سنتين لدى الآنسة "**دوفرين**" المقيمة في ڤيللا "**بارستوتاج**" في "**لانيلي**"، فقد دبرت الأمر معها.. وأخيرًا أتمنى لك حظًّا سعيدًا..»

"**كارتر**"

وما إن تجاوزت الساعة العاشرة بقليل حتى ارتدت "**كواتسو**" تحت معطفها ثوبًا قديمًا كانت قد اشترته في اليوم السابق من أحد متاجر الثياب المستعملة، واستقلت سيارة أجرة إلى محطة "**بادنجتون**"، وهناك دخلت إلى دورة المياه وأغلقت الباب على نفسها، وأخفت شعرها الأسود تحت الباروكة الشقراء، ورسمت حاجبيها بالطريقة الجديدة، ثم خرجت وهي امرأة أخرى غير "**كواتسو**" التي عهدها الناس.

وفي تمام الحادية عشرة كانت "**كواتسو**" في عمارة "**أودلي**" تتحدث إلى الفتى "**ألبرت**" عامل المصعد. تطلع إليها الفتى في تساؤل، فقالت له:

– ألم تعرفني يا "**ألبرت**"..؟ أنا ابنة عمك.. المزعومة.

فرمقها في دهشة واستغراب وهو يقول:

– الحق أنك فنانة رائعة تجيدين التنكر.. تصوري أني لم أعرفك!

ولما سألته عما فعل بشأنها، أجاب:

– قلت للسيدة "**فانديمير**" إن لأحد أصدقائي أختًا تعمل وصيفة يمكنني أن ألحقها بخدمتها، وهي الآن في انتظارك. كما أنني طلبت إلى "**آني**" أن تستمر اليوم في العمل لحين حضورك.

وكانت "**آني**" الوصيفة المستقيلة هي التي فتحت لها الباب، وقالت لها "**كواتسو**":

– أنا الوصيفة الجديدة.

فزمت "**آني**" شفتيها، وقالت في امتعاض:

– إنها امرأة متعبة لا تحتمل.. تصوري أنها تتهمني بأنني أتجسس عليها، وأنني أقرأ خطاباتها بعد أن تحرقها وترميها في سلة المهملات.

وارتفع من الداخل صوت جاف صارم النبرات يقول:

– "**آني**".. مع من تتحدثين؟

– إنها الوصيفة الجديدة يا سيدتي.

– إذن أدخليها إليّ في الحال.

وصعدتها "**ريتا**" بنظرة فاحصة. وفي استعلاء أشارت إليها بالجلوس، وسألتها:

– كيف عرفت أني في حاجة إلى وصيفة؟

– إن أخي صديق لـ"**ألبرت**" عامل المصعد، وهو الذي أخبرني.

فتأملتها "**ريتا**" برهة، ثم قالت:

– هذا غريب.. لهجتك في الحديث تدل على أنك متعلمة ولست من طراز الوصيفات اللائي اعتدت أن أستخدمهن.

– إني ممرضة يا سيدتي، وقد فصلت من عملي بسبب الأزمة الاقتصادية مع عشرات غيري من الممرضات، فعملت وصيفة مدة سنتين لدى الآنسة "**دوفرين**".

وأدلت إليها "**كواتسو**" ببيانات أخرى عن سابق خدمتها، مما نفى الشكوك من رأس السيدة "**فانديمير**" وجعلها تطمئن إليها.. وسألتها:

– متى يمكن أن تبدئي العمل؟

– الآن.. في الحال يا سيدتي. ولكن يجب أن أذهب أولا إلى محطة "**بادنجتون**"؛ لآتي بحقيبتي من مخزن الأمانات.

– حسنًا.. ويمكنك أن تستقلي سيارة أجرة.. ولكن ما اسمك؟

وكان الجواب:

– "**برودانس كاولي**" يا سيدتي.

وانصرفت "**كواتسو**" وهي تكاد تطير فرحًا، فقد نجحت خطتها وها هي ذي في خضم المغامرات.

- 10 -

عادت "**ريتا فانديمير**" من الخارج قبيل المساء، وقالت لوصيفتها الجديدة:

– جهزي المائدة لاثنين؛ فقد دعوت ضيفًا لتناول العشاء.

وفي الثامنة مساء رن الجرس، وبادرت "**كواتسو**" إلى الباب لتستقبل الزائر، ولكنه لم يكن "**هوايتنج**"، كما تمنت، وإنما رفيقه الذي لمحته معه بالأمس عندما كانت متوارية مع "**تومي**" تحت قبو السلم. وقدم إليها الزائر نفسه باسم

"**استيبانوف**"، وخفت إليه "**ريتا**" ترحب به قائلة:

– مرحبًا بك يا عزيزي "**بوريس إيفانوفيتش**".

– إنه لشرف عظيم يا سيدتي أن أدعى إلى مائدتك.

ومضت "**كواتسو**" إلى المطبخ، وسألت الطاهية:

– من يكون السيد "**استيبانوف**" هذا؟ أيتردد على البيت كثيرًا؟

– من حين لآخر.

وحرصت "**كواتسو**" وهي تقدم إليهما صحاف الطعام على أن تنصت إلى ما يقولان؛ علها تسمع شيئًا عن "**تومي**"، فقد أثار قلقها أنه لم يعد للفندق ليلة الأمس، ولم يبعث إليها بكلمة، ولكنهما طوال العشاء لم يكونا يتحدثان إلا عن الأزياء الحديثة والمسرحيات الجديدة وما إلى ذلك. وبعد العشاء انتقلا إلى غرفة المعيشة، وحملت إليهما "**كواتسو**" أقداح القهوة، وحرصت وهي تغادر القاعة على أن تدع الباب مواربًا عن فرجة صغيرة، وسمعت "**بوريس**" يقول:

– أهي الوصيفة الجديدة؟

– نعم؛ فقد كانت "**آني**" لا تطاق.

وتوقفت "**كواتسو**" لدى الباب ترهف السمع، وجاءها صوت "**بوريس**" يقول:

– هل تثقين بها؟

فضحكت "**ريتا**" وقالت:

– يا لك من رجل موسوس يا "**بوريس**".. إنها تمت بصلة القربى إلى عامل المصعد، أو أحد أصدقائه. ومع ذلك فلا نجد أحدًا يرتاب في أن لي صلة بصاحبنا المشترك السيد "**براون**".

فهتف "**بوريس**" محذرًا:

– "**ريتا**".. كوني على حذر.. إن الباب موارب.

– أغلقه إذن.

وهرعت "**كواتسو**" تبتعد عن الباب، ومضت إلى المطبخ، ثم ما لبثت أن تسللت إلى البهو، وقد رأت الطاهية غارقة في غسل الصحون. بيد أن باب قاعة

المعيشة كان مغلقًا.

وأخيراً سمعت "**بوريس إيفانوفيتش**" يهتف بصوت أكثر علوًا:

– إن جرأتك يا "**ريتا**" ستوردنا موارد الهلاك.

فقالت:

– إن الدعاية الخفيفة كفيلة بأن تبعد عنا الشبهات، وسوف ترى أن الأمر أقرب مما تتوقع.

وسألها:

– وحتى تحين الساعة. هل تسهرين في الخارج مع "**بيل إدجارتون**" دائما؟ إنك لا تجهلين أنه ليس أنبغ محام في "**إنجلترا**" فحسب، بل إنه أيضًا من أعظم علماء الجريمة في هذا العصر.

– ولا تنس أيضًا أنه ببلاغته أنقذ العشرات من حبل المشنقة، وقد أحتاج إليه في يوم من الأيام.

وتبدت نبرة حانقة في صوت "**بوريس**" وهو يقول:

– بل إن من الحكمة أن تقلعي عن مصاحبته.

– هذا شأني، وليس لأحد أن يتدخل في اختيار أصدقائي.

فقال في اقتضاب:

– سوف نرى.. سوف نرى!

وردت "**ريتا**" بأن قالت:

– اسمع يا "**بوريس**".. شخص واحد هو الذي له الحق في أن يأمرني، هو السيد "**براون**" دون سواه.

– إنك امرأة من الصعب إقناعك.. يقال عن "**بيل إدجارتون**" إن له أنفًا حساسة تتنسم رائحة الجريمة حيث تكون، ولا يقبل على أحد إلا إذا راودته بعض الشكوك في أمره، فما الذي يجعله يترامى عليك فجأة، ويهتم بأمرك؟

فقاطعته "**ريتا**":

– فليطمئن بالك يا "**بوريس**".. إذا كان "**بيل إدجارتون**" ذكيًّا، فإني أذكى

وأدهى..

ثم أردفت:

– ولا تنس أنه مفرط في ثرائه، وأنا امرأة يفتنني المال.

فقال "**بوريس إيفانوفيتش**":

– إن جشعك إلى المال يعميك عن الأخطار التي تستهدفين لها.. إنك لتبيعين روحك من أجل حفنة من المال.

وتريث برهة، ثم أردف في نبرة صارمة:

– أغلب ظني أنك لا ترددين في بيعنا.. من أجل المال.

فاغرقت "**ريتا**" في الضحك، وقالت:

– في هذه الحالة سيكون الثمن باهظًا.

– إذن فانت تعترفين؟

– ويحك يا عزيزي "**بوريس**"..! ألم تدرك أني أمزح؟

ثم قالت:

– هيا سأطلب لك قدحًا من الكوكتيل.

وأسرعت "**كواتسو**" تبتعد عن الباب، وحين سمعت الجرس يرن تريثت برهة، ثم لبت النداء.

حل اليوم التالي دون أن تتلقى "**كواتسو**" نبأ عن "**تومي**"، فقد أوفدت "**ألبرت**" إلى فندق "**ريتز**" يسأل عن رسائل باسمها، فرجع إليها خاوي الوفاض، فاشتدت بها الهواجس. لقد مضى "**تومي**" أول أمس يتعقب "**هوايتنج**"، فهل انكشف أمره ووقع في كمين؟ لابد لها أن تطلب إذنًا بالخروج؛ حتى تتاح لها فرصة تتنسم فيها أخبار شريكها. وقالت لها ربة الدار:

– لا بأس.. إني سأتناول عشائي الليلة خارج الدار، فلك أن تخرجي.

وفيما هي منهمكة في إيداع الدولاب الأواني الفضية رن الجرس، فخفت إلى الباب مسرعة، فإذا القادم رجل طويل القامة، وحين تأملها متفحصًا خيل إليها أن نظراته نفذت إلى بواطنها، وأنه عرف سرها. وإذ ذكر لها اسمه: السيد "**چيمس**

إدجارتون " » أخذتها رعدة مفاجئة. إذن فهذا هو المحامي الشهير الذي رشح أكثر من مرة لمنصب الوزارة. وحين فرغ من زيارة سيدتها صحبته "**كواتسو**" إلى الباب لتقدم إليه معطفه، تأملها مرة أخرى بنظرة عميقة، وقال لها:

– لا أحسبك إلا جديدة على هذه المهنة يا ابنتي؟ أتراك كنت ممرضة قبل ذلك؟

فتطلعت إليه في دهشة، وقالت:

– أهي السيدة "**فانديمير**" التي أخبرتك؟

– كلا يا ابنتي.. إن مهنتك مسطورة على وجهك، ولكني أحسبك غير راضية عن عملك هنا.. وعلى أية حال فلا ضير من التغيير، بل إن أي تغيير جديد قد يفيدك.

فسألته "**كواتسو**":

– هل تعني يا سيدي أن..

بيد أنه قاطعها وهو يلوح بيده:

– مجرد كلمة عابرة يا ابنتي، ولا شيء غير ذلك.

وجذب الباب وراءه وانصرف.

- 11 -

مضت "**كواتسو**" إلى فندق "**ريتز**" لمقابلة الامريكي "**جوليوس هير شايمر**" بعد أن خلعت باروكتها الشقراء وارتدت إلى هيئتها المألوفة. وإذ سألته عن أنباء "**تومي**"، أجاب بأنه لا يعرف شيئًا، ثم أردف:

– لم أره منذ مساء الأربعاء حين التقينا في محطة "**ووترلو**".

– محطة "**ووترلو**"؟! وماذا كنتما تفعلان هناك؟

– كيف هذا؟ ألم يخبرك بما كنا نفعل؟

– قلت لك: إنني لم أره منذ يومين.

– لقد اتصل بي تليفونيًا، وطلب إليّ أن أوافيه في الحال إلى المحطة، وعهد إليّ

بأن أتعقب رجلا ضخم الجسم يدعى "**هوايتنج**"، أما هو نفسه فتكفل بزميله. فبدا الاهتمام في وجه "**كواتسو**"، وسألته أن يفضي إليها بكل ما حدث. وأنشأ يروي لها القصة تفصيلا. قال:

– إنه تبع ذلك المدعو "**هوايتنج**" إلى إحدى مركبات الدرجة الأولى، فلما نزل في محطة "**بورتماوث**" نزل وراءه، واستقل الرجل عربة إلى أحد الفنادق وحجز لنفسه غرفة، وفي غير تردد حذا "**هير شايمر**" حذوه.. ثم استطرد:

– لزم الرجل الفندق، ولم يبرحه إلا بعد تناول العشاء، فاستقل مركبة اجتازت به شوارع البلدة إلى إحدى ضواحيها، وكنت في أثره في عربة أخرى على مسافة مناسبة، حتى انتهينا إلى الطريق الزراعي حيث أخذت البيوت تتناقص، وتتباعد بعضها عن بعض، ثم نزل من عربته وصرفها، ودخل إلى مبنى كبير أبيض اللون.

واستطرد "**جوليوس هير شايمر**" قائلا:

– وبدوري صرفت سائقي، ودلفت إلى الحديقة، ووقفت وراء إحدى الأشجار أراقب البيت. وطال بي الانتظار دون أن يغادر "**هوايتنج**" البيت. وكانت النوافذ جميعها مغلقة عدا واحدة كانت مفتوحة ومضاءة، فرأيت أن أتسلل إليها؛ لأتبين ما يجري في الغرفة، ولكن الستار المسدل عليها حال دون أن أرى ما يحدث في الداخل.

وتابع "**جوليوس هير شايمر**" حديثه:

– وتحرك ستار النافذة قليلا، ورأيت "**هوايتنج**" يطل على الحديقة ويمد يده إلى الخارج يتحسس المطر، ثم يتوارى على الفور خلف الستار. وكانت بالقرب من النافذة شجرة عالية، فاستقر عزمي على أن أتسلقها؛ حتى أحاذي الشرفة لكي أرى ما الذي يفعله "**هوايتنج**" هناك.

ومضى يقول:

– وكان جذع الشجرة أملس مبللا بماء المطر، ولكني استطعت أن أتسلقه بعد جهد وعناء، ولكن لسوء الحظ! كانت الشجرة منحرفة قليلا عن النافذة، فلم ينكشف لي ما وراءها وأنا في موضعي ذلك، فأخذت أزحف رويداً.. رويداً..

فوق غصن ضخم منها يواجه النافذة تماماً.

وأشعل "**جوليوس هير شايمر**" سيجارة، وقال يتم حديثه:

ـ كان الأثاث يوحي بأنها غرفة مستشفى وليست مخدعاً للنوم، وتتوسطها منضدة جلس إليها "**هوايتنج**" وامرأة في ثياب الممرضات تعذر عليّ أن أميز منها إلا جانب وجهها، وكان "**هوايتنج**" يتحدث إليها في انفعال ويضرب المائدة بقبضته من حين لآخر. وأخيراً رأيته ينهض واقفاً ويغادر الغرفة.

وعند ذلك تهشم الغصن تحت ثقلي، فهويت إلى الأرض. فهتفت "**كواتسو**" :

ـ يا إلهي..! وهل أصبت؟

ـ على أية حال لم أشعر بشيء فقد أغمي عليّ، ولكنني حين أفقت وجدت نفسي راقداً في أحد الأسرَّة، وعند رأسي رجل ملتح في ثياب الأطباء وممرضة خلاف تلك التي كانت تجالس "**هوايتنج**". وقال الطبيب حين رآني أتململ في فراشي: لقد أفاق صاحبنا الشاب، فقلت بصوت خافت: «ما الذي حدث..؟»، ثم: «أين أنا..؟»، ولم يجب الطبيب عن أسئلتي، وإنما أشار إلى الممرضة فانصرفت من فورها، وحاولت أن أجلس فشعرت بألم شديد في ساقي.

وقال الطبيب:

ـ لا شيء خطير.. مجرد التواء بالكاحل وستشفى خلال يومين.

ومضى "**هير شايمر**" يسرد قصته على "**كواتسو**" قائلا:

ـ وسألت الطبيب عما حدث، فقال لي إني وقعت من فوق الشجرة إذ انكسر بي الغصن.

فقلت له:

ـ من الغريب يا دكتور أنك لم تسألني حتى الآن عما جعلني أتسلل إلى حديقتك وأتسلق شجرتك، فقال:

ـ وما الذي يدعوني إلى أن أسألك؟

فقلت:

ـ إنك طبعاً لم تتصور أني جئت أسرق أموالك.

فقال:

– وهل في المستشفى ما يمكن أن يسرق..؟ هذا المبنى مصحّة، وأنا مديرها الدكتور "**هول**"..

واستطرد "**جوليوس هير شايمر**" قائلا:

– وكان لابد طبعًا أن أدلي إليه بإيضاح أبرر به اقتحامي حديقته، فحدثته عن فتاة أهيم بها غرامًا، وأن الوصي عليها يكرهني ويعاملها بقسوة، فأصيبت بانهيار عصبي. أدخلت بسببه المستشفى، وبلغني أنها أودعت هذه المصحة، وإني جئت أبحث عنها. وصدق الرجل السليم النية قصتي، راح يقول:

– يا لها من قصة غرامية!

فقلت له:

– والآن أرجوك يا دكتور أن تجيبني في صراحة وإخلاص: هل يوجد بين مرضاك فتاة تدعى "**جين فين**"؟

فأخذ يردد الاسم مفكرًا، ثم أجاب:

– كلا.. ليس بين مرضاي أحد بهذا الاسم.

فقلت له:

– عندما كنت جاثمًا فوق الغصن خيل إليّ أنني رأيت في إحدى الغرف رجلا يتحدث إلى إحدى الممرضات، وخيل إليّ أنه صديقي القديم السيد "**هوايتنج**"، فما الذي كان يفعله هنا؟ فإني لا أحسبه مصابًا بانهيار عصبي.

فأغرق الدكتور "**هول**" في الضحك، وقال:

– كلا.. إن صديقك القديم سليم الأعصاب، ولكنه جاء يزور ابنة أخيه الممرضة "**أديث**".

فسألته عما إذا كان لا يزال موجودًا في المصحة، فأجابني بأنه قد سافر مع ابنة أخيه إلى "**لندن**".

فقلت:

– أو تعرف عنوانه في "**لندن**"؟

– كلا بكل أسف، ولكني أستطيع أن أبعث بخطاب إلى الممرضة "**أديث**" أستفسر عن عنوانه– إن شئت.

فشكرته، وقلت له: ألا داعي أن أجشمك هذه المشقة. ثم انصرفت بدوري راجعًا إلى "**لندن**"، وحاولت الاتصال بـ"**تومي**" لأبلغه بما حدث، ولكني وجدته متغيبًا عن الفندق. فقالت "**كواتسو**":

– إنني شديدة القلق بشأنه، وأخشى أن يكون قد وقع في كمين أثناء مطاردته لهذا المدعو "**بوريس**".

وبدورها روت له الأحداث التي مرت بها إلى أن التحقت بخدمة "**ريتا فانديمير**". وقالت:

– والآن ما العمل؟ كيف يمكن أن نهتدي إلى مكان "**تومي**"؟

فقال:

– إنك ذكرت لي أن "**بوريس**" الذي كان "**تومي**" يتعقبه صديق لـ"**ريتا**" وأنه يتردد على بيتها؟

فقالت "**كواتسو**":

– نعم، فقد تعشى عندها منذ يومين.

– حسنًا.. لابد إذن أنه سيعود لزيارتها مرة أخرى، ولهذا سأرابط أمام البيت ليل نهار، فإذا زارها وأزمع الانصراف، فأسقطي منديلك من النافذة فأتعقبه بسيارتي، فقد يكون "**تومي**" سجينًا لديه في بيته.

فقالت "**كواتسو**":

– وهب أنه مرت أسابيع دون أن يزورها؟

– على أية حال ليس أمامنا إلا هذه الوسيلة.

ثم أردف:

– إني منصرف الآن؛ لأشتري السيارة التي سأرابط فيها. فأي طراز تفضلين؟

فأجابت مازحة:

– "**الرولز رويس**" طبعًا.

– فليكن.. بعد ساعة سأعود إليك بسيارة "**رولز رويس**".

فقالت "**كواتسو**":

– لقد كنت أمزح يا سيد "**شايمر**".. ثم إن "**الرولز رويس**" لا تسلم إلا بالدور، ويجب أن توصي بها قبل موعد التسليم بسنتين.

ورمقها بنظرة مرحة دون أن يتفوه بكلمة. وبعد ساعة رجع يقود سيارة جديدة من طراز "**الرولز رويس**". وفي ذهول سألته "**كواتسو**":

– ولكن كيف؟ كيف؟

وأجاب:

– لقد ذهبت إلى الشركة فوجدتهم على وشك أن يسلموا سيارة جديدة لأحد العملاء، فسألت هذا العميل عن الثمن الذي دفعه ثمنًا لها، فأجاب بأنه دفع عشرين ألف دولار، فقلت له: «سأدفع لك خمسين ألفًا وتتنازل لي عن سيارتك».

فتساءلت "**كواتسو**":

– وبم رد عليك؟

– لم يرد بكلمة على الإطلاق.

– إذن فقد غضب وثار؟

– لا أدري.. كل ما حدث هو أنه مد يده فتناول الشيك وتنازل لي عن السيارة. وها هي ذي في انتظارك عند الباب.

- 12 -

في رسالة بعثت بها "**كواتسو**" إلى السيد "**كارتر**"، روت له تفاصيل ما وقع من أحداث. وانقضى يوما الجمعة والسبت دون أن يقع جديد، ودون أن ينكشف أي أثر لـ"**تومي**"، وأخذ اليأس يدب إلى نفس "**كواتسو**". وفي خلال ذلك كان "**جوليوس هير شايمر**" رابضًا في سيارته "**الرولز رويس**" على كثب من بيت "**ريتا**

فانديمير " يترقب أن يزورها " **بوريس** " حتى يتعقبه، لعل في ذلك ما يرشده إلى المكان الذي يحبسون فيه "**تومي**" - هذا إذا كانوا لم يقتلوه. وحل يوم الأحد، فاغتنمت " **كواتسو** " فرصة عطلتها الأسبوعية ومضت إلى لقاء "**جوليوس هير شايمر**"، وقالت له:

- والآن ما العمل؟ ها أنت رابض في سيارتك أمام البيت في انتظار "**بوريس**".

فقال:

- "**بوريس**" لا يأتي.

وحدثته عن السيد "**چيمس إدجارتون**" المحامي الشهير، وكلمته التي ألقى بها إليها عند مغادرته بيت "**ريتا**". واستطردت تقول:

- فلم لا نلجأ إليه ونسترشد برأيه؟ إنه رجل حنكته التجارب، ثم إنه أبدى اهتمامًا بأمري وقد نجد عنده رأيًا حكيمًا.

وعارض "**جوليوس**" رأيها بشدة، ثم أذعن إليها، وبعد ساعة كانا في حضرة الرجل العظيم. واعتذرت إليه "**كواتسو**" عن إزعاجه على غير موعد سابق، ثم استرسلت قائلة:

- عند انصرافك يا سيدي من بيت السيدة "**فانديمير**" منذ أيام ألقيت إليّ بكلمات مبهمة، أوحت إليّ بأنك كنت تحذرني منها، فما الذي كنت تعنيه بالضبط؟

فابتسم لها السيد "**چيمس إدجارتون**" في سماحة، وقال:

- إنني لم أكن أعني يا ابنتي العزيزة إلا أن هناك أعمالا أنسب لك من عمل الوصيفة لدى السيدة "**فانديمير**"، خاصة أنك لست بالفتاة المدربة.

فقالت:

- ولكني سبق أن عملت وصيفة يا سيدي.

ثم أردفت في إصرار:

- ما الذي تأخذه على السيدة "**فانديمير**" يا سيدي؟ إني أشعر يا سيدي بأنك تكتم دوني أمرًا!

فرماها بنظرته النفاذة المأثورة عنه، والتي يكشف بها ما في النفوس من خفايا، ثم قال باسمًا:

– هذا لأنك أنت نفسك تكتمين دوني أمرًا..! أليس أولى بك أن تكاشفيني بما تهدفين إليه..؟ إنك جئت إليّ لتسأليني عما كنت أعنيه بكلماتي، فما هو هدفك الحقيقي؟

وتطلعت "**كواتسو**" إلى صديقها "**جوليوس هير شايمر**"، فقال لها الأمريكي:

– صارحيه بكل شيء يا "**كواتسو**".

وأخذت "**كواتسو**" تروي له القصة بحذافيرها، منذ البداية حين ذهبت إلى مكتبة "**هوايتنج**" ونقدها الخمسين جنيهًا.. إلى أن تنكرت باستخدام باروكة الشعر الأشقر لتعمل وصيفة لدى السيدة "**فانديمير**". واختتمت "**كواتسو**" قصتها بأن سألت السيد "**چيمس**":

– فما رأيك يا سيد "**چيمس**" فيما حدث لـ"**تومي**"؟ لا شك في أنه وقع في أيديهم، فهل قتلوه؟ أو اكتفوا بأن سجنوه؟

تفوه السيد "**چيمس**" بكلمات مبهمة، ثم أردف:

– كان في نيتي يا ابنتي العزيزة أن أسافر غداً إلى "**اسكتلندا**"؛ لأقضي أسبوعًا أتسلى فيه بصيد السمك، لكن يبدو أني سأبقى في "**لندن**" لأتسلى بصيد من نوع آخر.

وفي غمرة الحماس والانفعال. شدت "**كواتسو**" على يد السيد "**چيمس**" تشكره في حرارة. ثم سألته:

– ولكن ما الذي تنوي أن تفعله يا سيدي؟

فأجاب:

– إن خططي دائمًا بسيطة ومباشرة.. سأقابل "**ريتا**" وأوجه إليها سؤالا صريحًا: أين "**تومي**"؟

فقالت "**كواتسو**":

– ولكنها طبعًا ستنكر وتكذب.

فرمقها المحامي الشهير بتلك النظرة النفاذة التي طالما جعلت عتاة المجرمين ينهارون ويعترفون، وقال:

– سأرغمها على أن تتكلم وتعترف بكل شيء..

– ولكن كيف؟ أتنوي أن تعذبها، وتقتلع أظافرها، أو تكويها بالنار؟

فابتسم السيد "**چيمس**" وأجاب:

– لم يعرف عني مطلقًا أني عذبت أحدًا، كما لم يعرف عني أيضًا أن مجرمًا صمد أمام استجوابي..! لك أن تعتمدي عليّ يا ابنتي.

ثم أردف:

– إنك اليوم في عطلة، ولكن في أية ساعة تعودين إلى عملك ؟

– في التاسعة والنصف مساء.

– حسنًا.. في العاشرة تمامًا سأحضر لزيارة السيدة "**فانديمير**"، وسيرافقني السيد "**هير شايمر**"، وإن كنت أوثر أن يبقى بالطريق خارج الباب حتى أستدعيه.

وعادت "**كواتسو**" تقول:

– السيد "**چيمس**".. إني مازلت قلقة. ما العمل إذا رفضت السيدة "**فانديمير**" أن تتكلم وأن تفضي إليك بمكان "**تومي**"؟

فأجاب السيد "**چيمس**" ببساطة:

– في هذه الحالة «نشتريها».

وهتف "**هير شايمر**":

– إني على استعداد لأن أنقدها مليونًا من الدولارات.

فرمقه السيد "**چيمس**" بنظرة جانبية، وسأله:

– أنت غني إلى هذا الحد؟

– لقد ترك لي أبي من آبار البترول ما لا أستطيع أن أحصيه.

– إذن، فأنت لست شرطيًا سريًا؟

– كلا يا سيد "**چيمس**".. إني ابن عم "**جين فين**"، وقد رصدت مكافأة كبيرة لمن يأتيني بأنباء عنها.

وقال السيد "**چيمس**" :

– والآن إلى موعدنا هذا المساء.

فقال "**جوليوس هير شايمر**" :

– سأمر عليك يا سيد "**چيمس**" في التاسعة والنصف لنذهب معًا إلى بيت السيدة "**فانديمير**" .

– شكرًا لك، وإلى اللقاء.

قالت "**كواتسو**" تخاطب "**جوليوس هير شايمر**" وهما يغادران بيت السيد "**چيمس إدجارتون**" :

– ما رأيك فيه؟ أليس رجلا لطيفًا وشهمًا؟

فقال "**جوليوس**" :

– لقد أنكرت عليك في البداية أن تتصلي به، أما الآن فقد أدركت أني مخطئ، والآن هيا بنا إلى "**ريتز**" .

– ولكن أرجوك أن تدعني أنزل على مقربة من الحديقة؛ فإني أشعر بأني مضطربة الأعصاب قليلا.

– على أن نلتقي في الفندق في السابعة مساء.

وأنزلها حيث شاءت، فأخذت تتمشى بجوار الإفريز وتتسلى بالتطلع إلى واجهات المتاجر. وعلى غير وعي منها. حملتها قدماها إلى مقربة من عمارة "**أودلي**" حيث تقيم السيدة "**فانديمير**" . وفيما هي تبتعد عن العمارة. سمعت وقع خطوات تركض في أعقابها وصوتًا يناديها، فاستدارت في استغراب، فإذا بعامل المصعد "**ألبرت**" هو الذي يلهث وراءها. قال لها في لهفة وانفعال:

– أين كنت يا آنسة "**برودانس**" ؟ إني أبحث عنك منذ نصف الساعة.

فسألته في دهشة:

– ولكن ما الذي جرى؟ هل من جديد؟

فأجاب:

– نعم.. إنها مسافرة.

– من هي التي ستسافر؟

– السيدة " **فانديمير** " .. ستهرب.. لقد أمرتني أن أستدعي لها سيارة أجرة في السادسة والنصف، وقد رأيتها تعد حقائبها.

وتطلعت "**كواتسو**" في ساعتها، فألفتها قد تجاوزت السادسة ببضع دقائق. واستطرد الفتى يقول:

– يبدو أنها استرابت فيك، فقررت أن تهرب.

فربتت "**كواتسو**" كتفه، وقالت:

– الحق أنك كنز لا يقدر يا "**ألبرت**".. والآن إني أسألك خدمة.. اتصل بفندق "**ريتز**" واطلب السيد "**شايمر**" واطلب إليه أن يسرع في الحال إلى مقابلة السيد "**چيمس**"، وقل له إن السيدة "**فانديمير**" حزمت حقائبها وأنها تنوي الهرب. هل وعيت الأسماء؟

وكرر عليها "**ألبرت**" الاسمين، فقالت له:

– والآن أسرع.. أرجوك.

ومشى "**ألبرت**" راكضًا لينجز مهمته. ولم تتردد "**كواتسو**" لحظة.. استقلت المصعد، وصعدت إلى مسكن السيدة "**فانديمير**"، وضغطت الجرس:

– نعم يجب أن تحول دون هروبها بأية وسيلة.

وفتحت لها "**ريتا**" الباب، وسألتها في دهشة:

– ما الذي جاء بك الآن؟ المفروض أن هذا يوم عطلتك وأنك لن تعودي إلا في التاسعة.

وأجابت "**كواتسو**":

– لقد شعرت بألم في أسناني، فرأيت أن أرجع لأستريح.

فقالت "**ريتا**" في صوت رقيق، وإن شعت عيناها بوميض مخيف:

– يؤسفني أنك تتألمين، والآن اصعدي إلى غرفتك واستريحي.

– إني أفضل أن أجلس في المطبخ قليلا.

وارتسمت على شفتي "**ريتا**" ابتسامة شيطانية، وقالت:

– قلت لك اصعدي إلى غرفتك.

وكان صوتها نابضاً بالقسوة والوعيد. وفي اللحظة التالية رأت "**كواتسو**" في يد "**ريتا**" مسدساً مصوَّباً إليها.

وارتفع صوتها وهي تقول:

– أيتها الحمقاء..! أحسبت أني لم أنتبه إلى أمرك؟ يا لك من جاسوسة حقيرة..! ستصعدين إلى غرفتك، وستنامين وسيكون نومك مريحاً وطويلا.

ودفعتها إلى مخدع النوم تحت تهديد المسدس، وهناك رأت حقائب السفر محزومة ومصفوفة. وقالت "**كواتسو**":

– إنك لن تجسري على إطلاق النار، وإلا سمعك السكان.

وكان جواب السيدة "**فانديمير**":

– هذه مخاطرة أرتضيها لنفسي.

ثم أردفت:

– ومع ذلك لن أطلق عليك النار إلا إذا اضطررت. فإذا كنت حريصة على حياتك، فدعك من المقاومة ونفذي أوامري.. هيا اجلسي على هذا السرير وارفعي ذراعيك إلى أعلى.

ولم تر "**كواتسو**" مناصاً من الطاعة والانصياع. فقالت السيدة "**فانديمير**":

– يسرني أن تكوني عاقلة ومطيعة.

ووضعت السيدة "**فانديمير**" المسدس على المنضدة، وتناولت من فوقها زجاجة صغيرة صبت قدراً منها في قدح به قليل من الماء، ثم استدارت إلى "**كواتسو**" قائلة:

– والآن اشربي هذا.

وهتفت "**كواتسو**":

– كلا.. كلا.. مستحيل..! إنك دسست فيه سمًّا.

– إنه ليس سمًّا.. إنه مجرد عقار منوم.

– كلا.. إنه سم.. إنك تريدين أن تقتليني.

– قلت لك: إنه منوم وليس سمًّا.. هيا اشربي.

– مستحيل..! مستحيل..! لن أموت أبداً مسمومة.. إني أفضل أن تطلقي عليّ النار.

– لا تكوني غبية أيتها الجاسوسة! ليس سمًّا. إنه منوم. أتحسبين أن بي مسًّا من الجنون حتى أطلق الشرطة في أثري متهمة بارتكاب جريمة قتل؟

– أتقسمين أنه منوم؟

وأقسمت. ونزلت "**كواتسو**" من فوق السرير، ومدت يدها وتناولت القدح من يد "**ريتا**". ورويداً رفعته إلى شفتيها. ثم تجمدت يدها عند فمها مترددة محجمة. وصرخت فيها "**ريتا**" وهي تضرب الأرض بقدمها غاضبة:

– هيا اشربي.. إنه منوم لا يؤذي.. كل ما هنالك أنك ستنامين؛ حتى تتاح لي فرصة الهرب.

وحركت "**كواتسو**" يدها التي تمسك بالقدح وأدنته من فمها. وفي اللحظة التالية تحركت يدها بقوة إلى الناحية المضادة، وقذفت بالسائل في وجه "**ريتا**".

وصرخت "**ريتا**" متألمة وأطبقت عينيها. وحين فتحتهما كانت "**كواتسو**" منتصبة أمامها والمسدس في يدها.

وقالت لها:

– إياك أن تتحركي وإلا فلن أتردد في إطلاق النار.

وصرخت "**ريتا**" وهي تهتز غضباً:

– الويل لك..! في يوم من الأيام ستدفعين الثمن.

وابتسمت لها "**كواتسو**"، وقالت في هدوء:

– والآن اجلسي. كلا.. ليس على السرير، وإنما على هذا الكرسي لكي نتبادل الحديث. واستوت "**ريتا**" جالسة وهي تقول:

– وعم نتحدث؟

– عن الثمن الذي تطلبين.

كانت "**كواتسو**" لا تزال تذكر كلمات "**هوايتنج**" في أول لقاء بينهما حين قال

لها: «أهي "**ريتا**" التي أفشت إليك السر؟! كما أنها لم تنس أيضًا كلمات السيد "**چيمس إدجارتون**" إذ قال: «إذا أبت "**ريتا**" أن تتكلم فإني سأشتريها». إذن فـ"**ريتا**" من الطراز الذي يجري وراء المال، ولا يتردد في الغدر بزملائه ما دام يتلقى الثمن. وقالت "**ريتا**" متسائلة:

– ما الذي تقصدين؟ عن أي ثمن تتحدثين؟

– ثمن معلوماتك.

– أتحسبين أني أرضى بأن أغدر بأصدقائي وأبيعهم؟

– ولم لا ما دام الثمن مرتفعًا.

وضحكت السيدة "**فانديمير**" في سخرية، وقالت:

– لعلك تنوين أن تعرضي عليّ مائة جنيه؟!

– بل أعرض عليك مائة ألف جنيه!

فقد كانت "**كواتسو**" تعرف في قرارة نفسها أن الأمريكي "**جوليوس هير شايمر**" لن يضن حتى بمليون من الجنيهات.

وضحكت "**ريتا**" هازئة وهي تقول:

– ومن أين لك بهذا المبلغ؟

– من صديق لي من أصحاب الملايين.

وتريثت "**ريتا**" برهة تفكر، ثم قالت:

– يبدو لي أنك صادقة.

– أقسم أن هذا عرض حقيقي، وأني لا أخدعك.

فسألتها:

– وما الذي تريدين أن تعرفيه يا صديقتي؟

– أريد أن أعرف أين "**جين فين**" الآن؟

فأجابت:

– ليست لدي أية فكرة عن مكانها الآن.

– ولكنك تستطيعين أن تعرفي؟

– لن يكون هذا بالأمر العسير.

واستطردت "**كواتسو**" :

– إن لي صديقًا كان يتعقب "**بوريس**" ، ثم اختفى فجأة، فما الذي تعرفين عنه؟

– وما اسم هذا الصديق؟

– "**تومي بريسفورد**" .

فهزت رأسها سلبًا وقالت:

– ما سمعت بهذا الاسم من قبل، ولكني سأسأل "**بوريس**" وهو لا يخفي عليّ شيئًا.

ثم أردفت:

– أهذا كل شيء؟

– بل ثمة سؤال آخر: من هو السيد "**براون**" ؟

وشحب وجه "**ريتا**" ، وأخذتها رعدة واضحة، ثم تمالكت نفسها وأجابت:

– ألا تعلمين أنه لا أحد فينا يعرف من يكون السيد "**براون**" ؟

فقالت "**كواتسو**" في هدوء:

– ولكنك أنت تعرفين.

– وما الذي جعلك تظنين هذا؟

– لا أدري.. مجرد خاطر طرأ بذهني.. كما أنك امرأة جميلة، ومن المحتمل أنه وقع في غرامك، فكشف لك سره.

– نعم.. لقد أدار جمالي رأسه فهام بي حبًّا، وكشف لي عن حقيقة شخصيته.. إني أعرف من يكون السيد "**براون**" .

ثم أردفت:

– هل تقسمين على كتمان اسمي؟

– أقسم.. لن يعرف أحد أنك أنت التي أفشيت السر.

– والمائة ألف جنيه؟ متى تدفع إليّ؟

– غدًا صباحًا.. وأقسم على ذلك.

وأجفلت "**ريتا**" وأدارت رأسها في فزع، وصاحت:

– ما هذا.. لقد خيل إليّ أني سمعت صوتًا.

– مجرد وهم يا سيدة "**فانديمير**".. إننا وحدنا في المسكن. والآن من هو السيد "**براون**"؟

وقالت "**ريتا**" في تردد وإحجام وبكلمات متقطعة:

– إن السيد.. "**براون**".. هو..

وفجأة شحب لونها وجحظت عيناها واتجهت ببصرها إلى باب الغرفة، ومن عينيها يطل رعب شديد. وفي مدخل الغرفة كان رجلان لم تسمع المرأتان لخطاهما وقعًا. وكان الرجلان هما الأمريكي "**جوليوس هير شايمر**" والمحامي الشهير السيد "**چيمس إدجارتون**".

- 13 -

ترنحت "**ريتا فانديمير**" في جلستها، ثم مال رأسها فوق صدرها وأغمي عليها. وأسرع إليها السيد "**چيمس**" يجس نبضها وهو يقول:

– إليّ بالشراب.. مجرد صدمة عصبية لرؤيتها لنا فجأة داخل الغرفة دون أن تشعر بقدومنا.

وعادت "**كواتسو**" بعد لحظات بقدح من الشراب وأدناه السيد "**چيمس**" من شفتي "**ريتا**"، وأفرغه في جوفها، فانتعشت قليلا، وفتحت عينيها، ودارت بهما في وجوه من حولها في تعب وإعياء، ثم تراخى جفناها وانطبقت عيناها، وراحت في إغماءة جديدة. وتعاون الرجلان على نقلها إلى الفراش، وأرقداها عليه، وقال السيد "**چيمس**":

– اطمئنا.. إنها لا تلبث أن تفيق..

وتحول السيد "**چيمس**" إلى "**كواتسو**" يسألها:

– والآن قصي علينا، كيف عرفت أن "**ريتا**" تنوي الهرب؟

وروت لهما كيف أخطرها عامل المصعد "**ألبرت**" بما عرفه من اعتزام السيدة "**فانديمير**" الفرار، وما كان من صعودها إليها وإغرائها بالمال حتى تفضي إليها بما لديها من معلومات، وأنها كانت طوال الوقت خائفة محجمة. فقال "**جوليوس هير شايمر**" :

– لعلها تخشى أن يكون هناك (ميكروفون) مدسوس في الغرفة، والسيد "**براون**" – فيما فهمت – رجل خطر لن يحجم عن قتلها إن عرف أنها ستغدر به.

وانبرت "**كواتسو**" تقول:

– إذن يجب أن نسهر عليها؛ حتى لا يلحقها أذى.. يجب أن نبيت الليلة هنا.

فأمن السيد "**چيمس**" على قولها موافقًا بقوله:

– نعم.. يجب أن نحميها من هذا الشيطان المريد السيد "**براون**".. أغلقي يا آنسة "**كواتسو**" باب المخدع واحتفظي بالمفتاح في جيبك، وأغلقي أيضًا الباب الآخر المفضي إلى الردهة، أما نحن فسنجلس هنا في البهو ساهرين.

وأغلقت "**كواتسو**" باب المخدع بالمفتاح ودسته في جيبها، ثم مضت إلى المطبخ؛ لكي تعد بعض السندوتشات. واجتمعوا في البهو يتناولون السندوتشات ويحتسون الشاي ويتسامرون، وحرصوا على أن يظلوا ساهرين لا يغمض لهم جفن؛ حتى لا تتاح للسيد "**براون**" فرصة للبطش بـ"**ريتا فانديمير**". وقال "**جوليوس**" :

– الشيء الذي ما زال يحيرني، هو السبب الذي حدا بـ"**ريتا**" إلى حزم حقائبها ومحاولة الفرار!

فقالت "**كواتسو**" :

– لست أدري.. إن الأمر يبدو غريبًا.

وقال "**جوليوس**" :

– لابد أن السيد "**براون**" هو الذي أمرها بالرحيل. ولكن لماذا؟ لا أحد يدري.

وقالت "**كواتسو**" :

– ترى، أين "**جين فين**" الآن؟ إن "**ريتا**" نفسها لا تعلم مكانها.

فقال السيد "**چيمس**" :

- أما أنا فإنني أعلم.

وحملق إليه الآخران في دهشة، فابتسم قائلا:

- إني على الأقل أعرف أين كانت؟ إنها كانت في تلك المصحة التي زارها السيد "**هوايتنج**" ليلة أن وقع السيد "**هير شايمر**" من فوق الشجرة.

فقال "**جوليوس هير شايمر**" :

- ولكني استفسرت من الطبيب فأنكر وجودها، وأنه لا يعرف أحداً بهذا الاسم.

- هذا لأنك يا صديقي العزيز إنما سألت عن "**جين فين**" ، وما من شك في أن الذين أودعوها المصحة خلعوا عليها اسماً مستعاراً.

- هذا محتمل جداً.

وقالت "**كواتسو**" :

- ألا يحتمل أن يكون الطبيب نفسه من أفراد العصابة؟

فهتف "**جوليوس**" مستنكراً:

- الدكتور "**هول**" . مستحيل، إنه يبدو رجلا شريفاً جداً.

فقال السيد "**چيمس**" :

- الدكتور "**هول**" .. يا لها من مصادفة عجيبة..! إن معرفتي به سطحية، وقد اتفق أن التقيت به اليوم مصادفة في الطريق، وأخبرني بأنه يقيم في فندق "**متروبول**" ، فلم لا نذهب إليه غداً، ونستفسر عن "**جين فين**" ؟

فقال "**جوليوس**" :

- وما الداعي لهذا ما دامت "**ريتا**" ستزودنا بكل ما نبغي من معلومات ؟

فعقبت "**كواتسو**" :

- هذا صحيح. بيد أن صوتها كان يفتقد رنة الثقة والاطمئنان. واستطردت:

- ترى، ما الذي سيحدث غداً؟ هل تبر "**ريتا**" بوعدها، أم يتملكها الخوف من السيد "**براون**" فتمسك لسانها؟ أو يستريب السيد "**براون**" في أمرها، فيقتلها؟

فقال السيد "**چيمس**" ضاحكًا:

– وأنى له أن يصل إليها والباب مغلق بالمفتاح، ونحن جلوس هنا، نرى كل من يحاول الدخول.

وظلوا ساهرين حتى الصباح لا يغمض لهم جفن. ومضت "**كواتسو**" إلى المطبخ تعد طعام الإفطار، ورجعت تحمل صحاف الطعام وأربعة أقداح من الشاي.

وسألها "**جوليوس**":

– ولمن القدح الرابع؟

– لأسيرتنا "**ريتا**".. هذا إذا لم تكن قد هربت.

وحملت إليها القدح، وأخرجت المفتاح من جيبها وفتحت الباب. ووجدتها راقدة على الفراش مطبقة العينين. ونادتها:

– هيا استيقظي.

– ولكن "**ريتا**" لم ترد، ولم تتحرك.

وضعت "**كواتسو**" القدح على المنضدة، ومالت إلى الفراش، وأمسكت بيد "**ريتا**" تهزها لتوقظها. ثم ارتدت إلى الوراء فزعة مجفلة، وقد أطلقت صرخة مدوية كانت يد "**ريتا**" باردة مثلجة.

وعلى الصرخة خف إليها الرجلان مسرعين. همس السيد "**چيمس**" وهو يجس نبضها:

– إنها ميتة... منذ بضع ساعات.

وهتف "**جوليوس**":

– ولكن كيف ماتت؟ كيف حدث هذا؟

وجاء الطبيب وفحص الجثة، ثم قال:

– أزمة قلبية، وربما أيضًا جرعة كبيرة من منوم قوي شديد المفعول.. لا شك في أنها أخطأت فزادت الجرعة على الحد المناسب.

وحانت لفتة من "**كواتسو**" إلى المنضدة، فرأت زجاجة المنوم التي صبت منها

"**ريتا**" بضع قطرات في قدح الماء الذي حاولت أن ترغمها على شربه حين كانت تهددها بمسدس. كانت الزجاجة ممتلئة حتى نصفها، أما الآن فكانت فارغة ليس فيها قطرة واحدة.

- 14 -

قال "**جوليوس هير شايمر**" في وجوم وقد اكتاب وجهه:

– والآن ما العمل؟ لقد ماتت "**ريتا**" وسدت أمامنا السبل.

فأجابه السيد "**چيمس إدجارتون**":

– أونسيت أنه ما زالت في يدنا ورقة رابحة؟ الدكتور "**هول**".

– الحق أني كدت أنسى.

ومضت "**كواتسو**" و"**جوليوس**" إلى فندق "**ريتز**"، ورجع السيد "**چيمس**" إلى داره، على أن يتلاقوا في الحادية عشرة في بهو فندق "**متروبول**". واستقبلهم الطبيب في جناحه ورحب بالسيد "**چيمس**" في احترام شديد، وقدم إليه المحامي صاحبيه، الآنسة "**كاولي**" والسيد "**هير شايمر**"، فرمق الطبيب الشاب الأمريكي بنظرة مرحة وهو يقول:

– لقد سبق أن تشرفت بلقائه حين وقع من فوق شجرتي وأفسد زهوري. وأغرقوا جميعًا في الضحك.

وتولى السيد "**چيمس**" زمام الحديث، فقال:

– إني أبحث يا عزيزي الدكتور عن فتاة معينة؛ لكي تشهد أمام المحكمة في إحدى قضاياي. ولدي من الأسباب ما يجعلني متأكدًا من أن هذه الفتاة كانت تنزل في مصحتك في "**بورتماوث**" في يوم من الأيام. ولعلي لا أنتهك «سر المهنة» إذا أنا رجوتك أن تدلي إليّ بما تعلمه عنها.

فأجاب الدكتور "**هول**":

– مادامت هذه الفتاة شاهدة قضائية، فليس من حرج عليّ في أن أزودك بما

تريد .. فما اسم هذه الفتاة؟ أهي نفسها تلك التي سألني عنها السيد "**هير شايمر**" من قبل؟

فقال السيد "**چيمس**" :

– ليس الاسم بذي أهمية؛ إذ لا شك في أنها أدخلت باسم مستعار. ولكني أريد أولا أن أسالك عما إذا كانت لك معرفة بالسيدة "**فانديمير**" ؟

– السيدة "**فانديمير**" ؟ نعم. إن لي بها معرفة محدودة.

– لقد ماتت. تناولت جرعة زائدة على الحد من عقار منوم.

– يا إلهي! ومتى حدث ذلك؟ وهل كان عن عمد؟

– بل كان مصادفة وعن خطأ، وقد وقع الحادث أمس.

– إن الصحف لم تشر إلى هذا النبأ؟ فمن أين لك أن تعلم يا سيد "**چيمس**" ؟

– إني أنا الذي عثرت عليها ميتة.

واستطرد السيد "**چيمس إدجارتون**" يقول :

– ألم تعهد إليك السيدة "**فانديمير**" بفتاة من قريباتها؟

– بلى .. هذا حدث .. الآنسة "**جانيت فانديمير**" .. ابنة أخيها.

– ومتى أودعتها لديك؟

– منذ ثلاث سنوات تقريبًا.

– وما طبيعة مرضها؟

– لقد أخبرتني السيدة "**فانديمير**" بأن "**جانيت**" كانت في الباخرة "**الباسيفيك**" عند غرقها. ويبدو أنها أصيبت بصدمة عصبية عنيفة.

فقال السيد "**چيمس**" معقبًا :

– يبدو أن أبحاثنا كللت بالنجاح.

فقال الدكتور "**هول**" :

– أتعني أن هذه الفتاة "**جانيت فانديمير**" هي الشاهدة القضائية التي تبحث عنها؟

– تمامًا .. فالآن وقد عثرنا عليها ...

بيد أن الدكتور "**هول**" انبرى يقاطعه بقوله:

– ولكنك لن تنتفع منها بشيء يا سيد "**چيمس إدجارتون**".. إنها لن تستطيع أن تدلي بالشهادة المطلوبة.

– يا إلهي! وما الذي يحول دون ذلك؟

– إن "**جانيت فانديمير**" مصابة بفقدان الذاكرة.

ووجم الحاضرون من أثر الصدمة.

وقال السيد "**چيمس**":

– وإلى أي حد فقدت ذاكرتها؟

فأجاب الدكتور "**هول**":

– إنها لا تذكر شيئًا على الإطلاق عما وقع قبل غرق "**الباسيفيك**". أما بعد هذا فذاكرتها عادية سليمة شأن أي إنسان.

– وما الذي تذكره عن ماضيها؟

– لا شيء أكثر من اجتماعها مع سائر الركاب على ظهر الباخرة تأهبًا للنزول إلى قوارب النجاة، أما ما قبل ذلك فلا تعي منه شيئًا.. إن حالتها فريدة تستحق الدراسة.. تصور يا سيد "**چيمس**" أنها لا تذكر اسمها، ولا من أين جاءت، ولا أين كانت ذاهبة.. بل لقد نسيت حتى لغتها الإنجليزية وأصبحت لا تتكلم إلا الفرنسية.

فقال السيد "**چيمس**":

– هذا عجيب!! ولكن أما من علاج لهذه الحالة؟

– لا أعتقد.. بيد أن ذاكرتها قد تعود إليها فجأة، كما ذهبت فجأة.. هذا كثيراً ما يحدث. وفي الطب حالات معروفة يصاب فيها المريض بصدمة عصبية مفاجئة، تعيد إليه ذاكرته، صدمة مشابهة في ظروفها لتلك التي تسببت في فقدان ذاكرته.

وانبرى "**جوليوس هير شايمر**" يقول متسائلا:

– أتعني يا دكتور أن من المحتمل أن تعود إليها ذاكرتها، إذا هي تعرضت لظروف مماثلة لحادث غرق "**الباسيفيك**"؟

– هذا محتمل جداً..

فقال "**جوليوس هير شايمر**" في حماس:

– إذن فالأمر سهل يسير.. سنأتي بباخرة، ونغرقها و"**جانيت فانديمير**" فوق سطحها، ما دام هذا هو الطريق إلى شفائها!

فتطلع إليه الدكتور "**هول**" في دهشة، وقال:

– تغرق باخرة بمن عليها لكي تشفيها؟!

فابتسم "**جوليوس**" قائلا:

– لست أعني هذا طبعاً.. وإنما قصدت أن أقول إننا «سنمثل» غرق باخرة كما يحدث في الأفلام.. مجرد صرخات وصيحات استنجاد، وإنزال قوارب النجاة إلى الماء. إلى غير ذلك.. أي إعادة مشهد غرق الباخرة "**الباسيفيك**". فما رأيك يا دكتور؟

– قد يكون هذا هو العلاج الناجح يا سيد "**هير شايمر**". ولكن من أين لك المال الذي يفي بكل هذا؟ إن استئجار باخرة يقتضيك مبلغاً باهظاً.

– كن مطمئناً يا دكتور. فإن لدي ما لا يحصى، فما رأيك؟

فرمقه الطبيب بنظرة باسمة، وقال:

– إنك أمريكي، وأنتم معشر الأمريكيين بكم شذوذ عجيب، وتصدر عنكم تصرفات لا يتوقعها أحد.

فقال "**جوليوس**":

– والآن هيا بنا إلى المصحة، لتعيد إلينا "**جانيت فانديمير**" حتى أشرع على الفور أنفذ مسرحية الغرق.

– ولكن "**جانيت فانديمير**" لم تعد موجودة الآن في المصحة!

- 15 -

هب "**جوليوس**" مجفلا وهو يصيح:

– "**جانيت**" غير موجودة! كيف هذا؟

– كنت أحسبكم تعرفون.. لقد خرجت من المصحة يوم الأربعاء الماضي.. في الليلة نفسها التي وقعت أنت فيها من فوق الشجرة.

– يا إلهي..! وهل خرجت قبل وقوعي أم بعده؟

– بل بعده. لقد اتصلت بي السيدة "**فانديمير**" وطلبت إليّ أن أخرجها في الحال في صحبة الممرضة.

– وطبعًا كانت الممرضة هي "**أديث**" قريبة السيد "**هوايتنج**"..

– تمامًا.. ولكن أليست "**جانيت**" موجودة الآن عند عمتها السيدة "**فانديمير**"..؟

فسأله السيد "**چيمس**" عما إذا كان يعرف عنوان الممرضة "**أديث**"، فأجاب:

– كلا، ولكني أعتقد أنها موجودة في صحبة الفتاة في بيت السيدة "**فانديمير**".. ولكن ما بالي أراكم مرتبكين؟ هل اختطفت الفتاة؟

فأجاب السيد "**چيمس**":

– هذا ما سوف نتحقق منه.

وشكر السيد "**چيمس**" الطبيب على تعاونه وانصرف مع صاحبيه.

وتساءلت "**كواتسو**":

– والآن ما العمل.. ما هي خطوتنا التالية؟

فهز السيد "**چيمس**" كتفيه في أسى، وقال:

– ليس أمامنا الآن إلا أن ننشر إعلانًا نطلب فيه معلومات عن الممرضة "**أديث**" التي كانت تصحب "**جين فين**".

وقالت "**كواتسو**":

– وماذا بشأن "**تومي**"؟

فعاد السيد "**چيمس**" يقول وفي نبراته رنة القنوط:

– كل ما نملك هو أن نرجو ونأمل أن يعود إلينا سالمًا.

وأخذ السيد "**چيمس**" بيدها في عطف ورثاء، وقال:

– لا تحزني يا ابنتي ولا تبتئسي، ليس أمامنا الآن إلا أن ننتظر. إني مسافر غدًا

إلى "**اسكتلندا**"؛ لأقضي أيامًا في الراحة، والاستجمام، ولكن إذا جد شيء فلا تترددي في الاتصال بي، فأحضر على الفور.

فلم يسعها إلا أن تشكره على مابذل من عون. وقال لها:

– ومع ذلك فإن المرء حتى في أيام عطلته يستطيع أن يفعل الكثير.

وخالجها من نبرات صوته أنه يعني أكثر مما حوت الكلمات المجردة، فرفعت إليه عينيها وهمت بأن تستفسر، ولكنه لوح لها بيده بإيماءة خفيفة قائلا:

– كلا، لا تسالي، فإنني لن أضيف كلمة أخرى. إن من الخطأ يا ابنتي أن يسرف المرء في الكلام، ومن الحكمة الا يفضي الإنسان بكل ما يعلم حتى إلى أقرب الناس إليه. تذكري هذه الحكمة دائمًا واعملي بها.

ووقفت "**كواتسو**" تشيعه ببصرها وهو يبتعد، وتسائل نفسها عما يرمي إليه بهذه الكلمات؟ ترى، هل ينوي أن يعمل في الخفاء دون أن يكشف لأحد عن خطته؟ وانتزعها من خواطرها أن دعاها "**جوليوس**" إلى ركوب السيارة، وقال لها:

– ما بالك شاردة الذهن؟ أقال لك محامينا العجوز شيئًا؟

وهمت بأن تجيب، ولكنها ما لبثت أن أطبقت شفتيها، وقد تذكرت الحكمة التي أوصاها بها السيد "**چيمس إدجارتون**" حين قال لها: «إن من الحكمة ألا يفضي الإنسان بكل ما يعلم حتى إلى أقرب الناس إليه».

وفي اللحظة نفسها ومضت في ذهنها ذكرى أخرى.. لقد تمثلت "**جوليوس هير شايمر**" واقفًا أمام الخزانة في مسكن السيدة "**فانديمير**" يبحث فيها، وهي تسأله عما إذا كان قد وجد شيئًا، ثم سكت، سكتة قصيرة مترددة قبل أن يجيب:

– كلا.. لا شيء.

فهل حقيقة لم يجد في الخزانة شيئًا؟ أم أنه وجد شيئًا أخفاه واحتفظ به لنفسه؟

وعاد "**جوليوس**" يسألها عما قاله لها السيد "**چيمس**"، فأجابت:

– لا شيء.. لم يقل شيئًا.

وقال لها:

– ما رأيك في نزهة قصيرة في الحديقة؟!

فأجابت :

– ما دمت راغبًا فلا مانع.

ومشيا صامتين برهة من الوقت، ثم قال لها "**جوليوس**" فجأة :

– آنسة "**كواتسو**" .. أتعتقدين أننا سنعثر على "**جين فين**" ..؟

فقالت :

– لا أدري .. لقد نصحنا السيد "**چيمس**" بأن ننشر إعلانًا قد يهدينا إلى المرضة التي صحبتها.

فقال :

– أتعلمين يا آنسة "**كواتسو**" أني لا أحب هذا الرجل، على الرغم من أنه شديد الذكاء، وعلى الرغم من أنه حاول أن يساعدنا بكل إخلاص.

ثم أردف :

– أرى أنه لا داعي الآن لبقائي في "**إنجلترا**" بعد أن فشلت جهودنا، ولذلك قررت أن أعود إلى "**أمريكا**" .

فتطلعت إليه في دهشة، وقالت :

– و"**تومي**" ؟ هل تتخلى عنه؟

فقال :

– آسف .. لقد نسيت السيد "**بريسفورد**" .. طبعًا سأبقى بجانبك لنبحث عنه.

وتوقف في سيره، ورمقها بنظرة ثابتة وقال :

– آنسة "**كواتسو**" ، أتسمحين لي بسؤال؟

فقالت :

– سل ما بدا لك.

– هل .. هل بينك وبين "**تومي**" شيء ..؟ أعني أهو خطيبك؟

فأجابت :

– لا شيء بيننا على الإطلاق .. إننا صديقان فقط.

– لِمَ لم تتزوجي حتى الآن يا آنسة "**كواتسو**" ؟

– لأن جميع من عرضوا عليّ الزواج كانوا فقراء، وعزمي مستقر على الا أتزوج إلا برجل غني.

– غني إلى أي حد؟ ما مقدار ثروته؟

فضحكت "**كواتسو**" وأجابت:

– هذا شيء لم أفكر فيه.

فالتفت إليها قائلا:

– ما رأيك فيّ؟ إني أعرض عليك الزواج، وأنا كما تعلمين من أصحاب الملايين، وبذلك يكون شرطك قد تحقق.

فقالت:

– آسفة.. لا أستطيع.

– ولم لا تستطيعين..؟ ما السبب؟

وإذ لاذت بالصمت، قال "**جوليوس**":

– على أية حال فكري في الأمر وأرجئي جوابك إلى الغد.

وحين خلت بنفسها في غرفتها في فندق "**ريتز**"، راحت تقول:

– ألا ما أشد حماقتي! طوال عمري وأنا أحلم بأن أتزوج برجل غني، وهذا "**جوليوس هير شايمر**" يعرض عليّ ملايينه التي لا تحصى، فكيف أرفض؟ ولكن حين استدارت واستقر بصرها على صورة "**تومي**" الموضوعة على المنضدة بجانب الفراش. أدركت على الفور سبب الرفض.

هتفت:

– أوه "**تومي**"! لكم أحبك!

إن "**جوليوس**" يريد منها ردًا.. يريد أن يعرف سبب رفضها، فما عساها تقول له؟ وإذ تمالكت نفسها وهدأ جأشها، عادت إلى ذهنها فكرة روعتها وبعثت الرعب في نفسها. ترى، ما الذي كان يفعله "**جوليوس**" أمام خزانة "**ريتا**"؟ وهل وجد فيها شيئًا؟ أم لا. وما هذا الذي وجده؟ كلا.. كلا.. مستحيل..! إنها لفكرة فظيعة، ولكنها الفكرة الوحيدة التي يمكن أن تفسر كل شيء. وتناولت ورقة،

وجلست تسطر خطابًا لـ "**جوليوس**"، ثم أودعته ظرفًا ومضت به إلى غرفة "**جوليوس**"، ولما لم يجب على طرقاتها أدارت المقبض فانفتح الباب. كانت غرفة "**جوليوس**" خالية، فوضعت الخطاب على المنضدة وعادت إلى مخدعها. وفيما هي تخلع ثيابها سمعت نقرات على بابها، وإذا بالخادم يناولها برقية وردت باسمها. فضت البرقية وتطلعت إلى اسم مرسلها، ثم فغرت فمها دهشة وذهولا. كانت البرقية من "**تومي بريسفورد**"..!

- 16 -

أفاق "**تومي**" من إغمائه تدريجيًّا بعد تلك الضربة التي تلقاها على رأسه حين كان واقفًا يسترق السمع إلى الحديث، الذي كان يدور بين جماعة المتآمرين في تلك الغرفة الموصدة في أحد بيوت حي "**سوهو**". وانجلت غشاوة الظلمات عن ذهنه وتذكر كل شيء. وسمع إلى جانبه صوتًا عرف فيه صوت رئيس الجماعة وهو يقول:

– لقد بدأ صاحبنا يستفيق.

وأقبل الرئيس على الفريسة، وقدم إليه شرابًا، فأفرغه في جوفه على الفور، وأحس بذهنه يصفو وينتعش. وقال له الرئيس:

– إنك حسن الحظ، فإن ضربة "**كونراد**" كانت كفيلة بأن ترديك ميتًا..!

وأشار إلى رجل يقف بجانب الفراش، وما كان هذا الرجل إلا البواب الذي فتح له باب البيت. وقال "**تومي**" في صوت ضعيف يشيع فيه الوهن:

– وأنت أيضًا حسن الحظ يا "**كونراد**"، فلو أني فطنت إليك وأنت تقترب مني، لسددت إليك ضربة كانت كفيلة بأن ترديك جثة هامدة.

وقال الرئيس:

– ألديك شيء تفضي به إلينا قبل أن نجهز عليك باعتبارك جاسوسًا؟

– طبعًا لدي الكثير مما يمكن أن يقال.

– أتنكر أنك كنت تتجسس عند الباب؟

– ولماذا أنكر؟ كان الحديث طريفًا مسليًا.

– اذكر كيف تسللت إلى البيت؟

– ومن زعم أني تسللت؟ لقد دخلت عيانًا بيانًا، والفضل لصاحبكم "**كونراد**" هذا.. كان أولى بكم أن تختاروا لبابكم كلب حراسة.

وحملق الحاضرون جميعًا إلى "**كونراد**". وهتف "**كونراد**" حانقًا:

– لقد أدلى إليّ بكلمة السر.

فقال "**تومي**":

– لا تلوموه.. أرجوكم.. إني أعرف كلمة السر التي لا توصد أمامها الأبواب.. وشكرًا له على أية حال، فقد أتاح لكم أن «تتشرفوا» بمعرفتي، وأن أراكم وأسمع حديثكم.

فقال الرئيس:

– إن الأموات لا يتكلمون.

كان "**تومي**" يتكلم باستخفاف؛ ليبث في نفوسهم أنه لا يخافهم، ولا يخشى بأسهم، وكانوا جميعًا في عجب من سلوكه، يتساءلون: هل يتوقع نجدة تخف إلى إنقاذه؟

– ولكنك عاجلا ستموت.

– هذا ما لا أتوقعه.

فضحك الرئيس قائلا:

– حقًّا؟ ولِمَ تعتقد أننا لن نقتلك؟

– لأسباب عديدة.. أهمها أنكم تريدون أن تعرفوا مني ما أعرفه عنكم، ولأنكم لم تبادروا بقتلي، وأنا مغمى عليّ غائب عن الوعي.

وانبرى "**بوريس**" يقول:

– أيها الجاسوس الحقير..! فلنقتله في الحال..!

وأمن الحاضرون على قوله.

وأومأ الرئيس بيده قائلا:

- أسمعت؟ ما قولك في هذا؟

كان "**تومي**" خائفًا، وكان يعرف أن الموت مصيره، ومع ذلك لم تزايله سمات الاستخفاف وعدم المبالاة. وقال:

- وما قولكم أنتم في دخولي إلى هنا؟ ألم تسألوا أنفسكم كيف دخلت؟ ألم يخطر لكم أن تسألوا عن الكيفية التي عرفت بها كلمة السر؟ فكروا أيها السادة وافتحوا عيونكم.. وامسحوا هذا الصدأ الذي يغشى عقولكم.

لقد اراد بهذه الكلمات أن يزرع بذور الشك في نفوسهم، فيحسبون أن من بينهم واشيًا خائنًا وقد نجح في بلوغ هدفه. وأخذوا يتبادلون نظرات الشك والريبة، وسرت بينهم همهمة خافتة. وقال الرئيس:

- أتريد أن تقول إن بيننا خائنًا؟

وابتسم "**تومي**" ولم يقل شيئًا، وانبرى "**بوريس**" يقول:

- اقتلوه... اقتلوه.

فقال "**تومي**" في كلمات بطيئة متمهلة:

- ولماذا تريد أن تعجل بقتلي يا "**بوريس**"؟ ما الذي تخشاه من بقائي حيًّا؟

واستقرت نظراتهم المستريبة على وجه "**بوريس**". وبدا "**تومي**" معجبًا بنفسه، وبخطته، وتمنى لو أن "**كواتسو**" كانت حاضرة لترى بنفسها مدى دهائه. وصرخ "**بوريس**":

- الويل لك أيها الجاسوس الحقير!

فقال "**تومي**" في غير اكتراث:

- هدد وتوعد كما تشاء، فإنكم لن تجرءوا على قتلي.

فتساءل الرئيس:

- وما الذي يجعلك واثقًا إلى هذا الحد؟

- لأن لدي معلومات تهمكم إلى الدرجة القصوى، ولذلك ستعرضون عليّ صفقة تفيدكم وتفيدني.. صفقة مبادلة.

– مبادلة أي شيء؟

– حياتي وحريتي مقابل...؟

وأمسك عن إتمام عبارته، فتطلعوا إليه متلهفين.

قال مستطرداً:

– حياتي وحريتي مقابل الأوراق التي كانت مع "**دانفيرس**" في الباخرة "**الباسيفيك**".

وكان لكلماته وقع الصاعقة عليهم، وبدوا ذاهلين. وسأله الرئيس:

– أهي في حوزتك؟

فهز رأسه سلباً، وقال:

– ولكني أعرف كيف أعثر عليها.

فلوح الرئيس بيده ساخراً، وهو يقول:

– أهذا كل ما لديك؟

– لا تسخر، فهي فكرة قائمة على حقائق ثابتة لا يعرفها أحد سواي.. ومع ذلك فما الذي ستخسرون؟ إن لم أقدم إليكم الأوراق كان لكم أن تقتلوني.

فقال الرئيس:

– وإذا رفضنا هذا العرض؟

فقال "**تومي**":

– لا تنسوا أنه لم يبق على يوم 29 إلا أسبوعان.

وتريث الرئيس برهة مفكراً، ثم أشار إلى "**كونراد**" قائلا:

– اذهب به إلى الغرفة الأخرى.

وانفردوا بأنفسهم يتداولون، ثم استدعوه إليهم، وبادره الرئيس بقوله:

– إننا موافقون على العرض الذي تقدمت به إلينا، ولكن بشرط معين هو أننا لن نطلق سراحك إلا بعد أن تقدم إلينا الأوراق.

فقال "**تومي**" في مرح:

– يا للغباء..! كيف أبحث عن الأوراق وأنا سجين هنا؟ يجب أن تطلقوا سراحي

أولا .

– نفرج عنك فتفر هاربًا، ولا تأتينا بالأوراق؟

– أقيموا عليّ حارسًا يترصد خطواتي حيث أذهب .

فقال الرئيس :

– بل لدينا اقتراح افضل . . يمكنك أن تعهد إلى أحدنا بالبحث عن الأوراق طبقًا لتوجيهاتك وإرشاداتك . فإذا عثر عليها أفرجنا عنك في الحال .

فقال "تومي" :

– إنها مسألة تحتاج إلى لباقة ودهاء، ومندوبكم كفيل بأن يفسد الأمر إن تولاه بنفسه .

وضرب الرئيس المنضدة بيده قائلا :

– تلك هي شروطنا . . ! وإلا فالموت مصيرك . . !

ففكر "تومي" برهة ثم قال :

– فليكن . . لقد قبلت، ولكن يجب أن أقابل الفتاة أولا .

– أية فتاة؟

– "جين فين" طبعًا .

وقال الرئيس :

– إنها عاجزة عن أن تجيب عن أي سؤال .

– لا أهمية لهذا؟ حسبي أن أدرس وجهها وما يطرأ عليه من تغييرات .

فقال الرئيس :

– سنفكر في مطلبك هذا . . شخص واحد هو الذي يستطيع أن يبت فيه .

فقال "تومي" :

– أتعني السيد "براون" ؟

فاومأ الرئيس إيجابًا، فتساءل "تومي" :

– وهل سأقابله؟

– ربما . . من يدري . . والآن اصعد به يا "كونراد" إلى أعلى .

وصعدوا به إلى غرفة في الطابق العلوي.. غرفة ذات جدران صماء ليست بها نافذة واحدة. وجلس "**تومي**" على الفراش يفكر في مصيره.

ترى، هل تنجح خطته، فينزلقون وراء الخدعة التي نسجها من خياله المحض؟

- 17 -

ما إن ارتمى "**تومي**" على الفراش حتى غرق في نوم عميق، لم يستيقظ منه إلا صباح اليوم التالي على صرير المفتاح. وفتح الباب، ولمح شبحًا لم يتبينه يقترب من المنضدة، وينير مصباحًا يضاء بالبترول، إذ لم تكن الغرفة مزودة بالنور الكهربائي. كان الشبح فتاة ذات شعر ذهبي ولها عينان خضراوان، فوقع في روعه أنهم وافقوا على مطلبه، وبعثوا إليه بـ"**جين فين**"، فسألها:

– هل أنت "**جين فين**"؟

فأجابت:

– كلا يا سيدي.. إني أدعى "**آنيت**".

وكان ردها عليه بالفرنسية وإن كان حديثه إليها بالإنجليزية. وسألها بالفرنسية:

– هل أنت فرنسية؟

فردت بالإيجاب، وسألته:

– أتتكلم الفرنسية يا سيدي؟

– إلى حد ما.. وإن كنت لا أجيدها.

وأشارت إلى الصحفة التي جاءت بها، وقالت:

– لقد جئتك بطعام الفطور يا سيدي..

وشكرها "**تومي**" وقال لها:

– لحظة واحدة يا "**آنيت**".. ما الذي تفعلينه هنا..؟

فأجابت:

– إني أقوم بالأعمال المنزلية.

– أما سمعت قط باسم "**جين فين**" ؟

– لقد سمعت بعض الزائرين يرددون هذا الاسم.

– ألا تعرفين أين تقيم؟

– كلا، فإني لم أقابلها أبداً، وهي على أية حال لا تقيم في هذا البيت.

ثم انسحبت وأوصدت الباب من الخارج بالمفتاح.

وقال "**تومي**" في نفسه:

– إن سمات الإجرام لا تلوح على وجه هذه الفتاة، فعسى أن تساعدني على الهرب.

وحل المساء، وزايل "**تومي**" مرحه واستخفافه وعلا سحنته الوجوم، فقد أصبح موقناً بمصيره، فإما أن يهرب، وإما أن يموت. دار ببصره في أرجاء الغرفة يبحث عن شيء يصلح سلاحاً يهاجم به غريمه "**كونراد**" إذا حضر لمقابلته. لم يكن بالغرفة الجرداء إلا المقعد الموضوع أمام المائدة وتلك اللوحات المعلقة على الجدران. كانت أربع لوحات منقولة عن مشاهد رواية "**فاوست**" إحداها تمثل "**مرجريت**" ممسكة بصندوق جواهرها، والثانية تمثل الكنيسة، والثالثة صورة "**سيبيل**" مع الزهور، أما الرابعة فصورة الشيطان مع "**فاوست**" وعيناه تشعان بنظرة جهنمية. وقال في نفسه:

– لهذه الصورة إطار سميك، فهي تصلح سلاحاً أصرع به "**كونراد**" عند دخوله الغرفة.

ونزع الصورة من مكانها، وأخفاها وراء الباب، ومضى يترقب قدوم "**كونراد**" في ساعة العشاء. وأخيراً سمع صرير المفتاح في القفل، فوقف بقرب الباب متأهباً للانقضاض على غريمه.

وفتح الباب.. كانت القادمة هي "**آنيت**". وقد جاءت وحدها تحمل إليه طعام العشاء.

وقال لها "**تومي**":

– أغلقي الباب، فإني أريد أن أتحدث إليك.

وأطاعته بغير تردد، وأوصدت الباب. وقال لها:

- "**آنيت**" .. إني أتوسل إليك أن تساعديني على الخروج من هذا السجن.

- هذا مستحيل.. إنك لن تستطيع أن تفلت منهم، فإنهم ثلاثة في هذا البيت.

فقال لها:

- إنهم ثلاثة من الأشرار الملاعين، وإذا أنت ساعدتني على الهرب صحبتك معي، وأنقذتك منهم.

فردت:

- كلا يا سيدي.. لا أستطيع.

وهمت بأن تستدير منصرفة، فهتف بها "**تومي**":

- لحظة واحدة يا "**آنيت**" .. يجب أن تساعديني على إنقاذ فتاة.. فتاة شابة في مثل سنك.. يجب أن أنتشلها من بين براثنهم.

- أتعني هذه الفتاة المدعوة "**جين فين**"؟

فقال "**تومي**" في لهفة:

- أتعرفين شيئًا عنها؟

- كلا.. إني لا أعرف إلا اسمها.

ومشت إلى الباب لتنصرف، وفجأة أطلقت صرخة مدوية وكان بصرها قد استقر على صورة "**فاوست**" والشيطان التي نزعها "**تومي**" من الجدار وأسندها وراء الباب، فاستبد بها رعب شديد، فكانت هذه الصرخة التي أطلقتها. ترى، ما الذي أفزعها؟ هل تبادر إلى ذهنها أنه ينوي أن يعتدي عليها بضربها بهذه اللوحة؟

وبادر إلى الصورة يعيدها إلى موضعها من الجدار، فقد كان في مسيس الحاجة إلى عونها، فمن الحماقة أن يثير مخاوفها. وفي مساء الليلة الثالثة فتح الباب، ودخل "**كونراد**" يصحبه رقم 14، وراوده شعور بالخوف. وقال له "**كونراد**" مزمجراً:

- لقد انتهت اللعبة أيها المحتال..! أتريد أن نمنحك الحرية والحياة مقابل أوراق لا تعرف عنها شيئًا؟ لقد انكشفت خدعتك. فأنت لا تعرف شيئًا عن

هذه الأوراق.

واقترب منه "**كونراد**"، وتناول حبلا من جيبه، ومضى يشد وثاقه، فقال له "**تومي**":

– وما الداعي لهذا..؟ إن رقم 14 يستطيع أن يجز عنقي بسهولة وأنا مطلق اليدين دون حاجة إلى تقييدي.

فقال "**كونراد**" مزمجراً:

– وهل تحسب أيها الغبي، أننا سنقتلك هنا حتى نخلف أثراً يهدي الشرطة إلينا..؟

غداً سننقلك إلى مخبأ آخر من مخابئنا الخفية، وهناك نزهق روحك.. ولكننا على أية حال لن نعيدك إلى فندق "**ريتز**".

ودهش "**تومي**" لهذه الكلمات.. إذن فقد اكتشف السيد "**براون**" شخصيته الحقيقية، فكيف تسنى له ذلك..؟ وانصرف الرجلان بعد أن تركاه فوق الفراش مقيد الوثاق. وبعد ساعة دار المفتاح في ثقب القفل للمرة الثانية، ودخلت "**آنيت**"، ولاحقها من الخارج صوت "**كونراد**" يصيح بها:

– لا عشاء له الليلة يا "**آنيت**"، فاخرجي من الغرفة.

فأجابت:

– أعرف هذا، ولكني أردت أن أستعيد صينية الغداء، فأنا في حاجة إليها.

فزمجر "**كونراد**":

– إذن أسرعي.

وأسرعت الفتاة إلى المنضدة فأطفأت مصباح البترول، ثم اقتربت من "**تومي**"، وتحسست يده المشدودة الوثاق، ودفعت إليها بمطواة مفتوحة النصل، وهمست:

– اقطع قيودك وتأهب للهرب.. بمجرد أن يدخل عليك تخلص منه واهرب.

ثم بادرت تغادر الغرفة مسرعة، وأغلقتها بالمفتاح.

ولبث "**تومي**" بعد انصرافها مشدوهاً مذهولا، بيد أنه لم يتوان لحظة عن قطع الحبل المشدود إلى يديه وساقيه. وتتابعت ساعات الليل. وأخيراً فتح الباب، وعلى

الضوء الخافت المنبعث من الدهليز تراءى شبح الرجل رقم 14 داخلا إلى الغرفة، وفي أعقابه "**كونراد**". وتريث "**تومي**" لحظة، ثم رفع اللوحة وهوى بها بكل قوته على رأس رقم 14 في الوقت الذي كان فيه "**كونراد**" يهم بإشعال المصباح، وفي اللحظة التي كان فيها رقم 14 يهوي إلى الأرض، كان "**تومي**" قد وثب إلى الخارج.

واستطاع أن يغلق الباب بالمفتاح من الخارج، ودس المفتاح في جيبه. وارتفع صوت الرئيس من أسفل متسائلا:

– ما هذه الضجة يا "**كونراد**"؟

ورأى "**تومي**" "**آنيت**" إلى جانبه، وإصبعها فوق شفتيها تنذره بالسكوت، وقادته إلى ناحية سلم صغير في أقصى الدهليز يفضي إلى مخزن معلق بين الطابقين. وهمست به:

– اصعد.. أسرع..!

واسرع "**تومي**" يرتقي الدرج و"**آنيت**" في أعقابه، وقالت له: اختبئ هنا.

وكان "**كونراد**" يضرب الباب بقبضته مستنجداً.. وعلى الضجة صعد الرئيس ومعه رجل آخر، وراحا يدفعان الباب. وهمست "**آنيت**":

– الرئيس يعتقد أنك ما زلت في الداخل، وأنك و"**كونراد**" تتعاركان وتتضاربان.. هل المفتاح معك؟

وأخرج المفتاح من جيبه وناوله لها. ولدهشته رآها تأخذ من ركن المخزن حبلا طويلا وتربطه حول دولاب صغير، وناولته طرف الحبل وهي تقول:

– والآن تعال معي واختبئ تحت قبو السلم، وطرف الحبل في يدك. وبمجرد أن أخرجهم من الغرفة اجذب الحبل بشدة فيقع الدولاب، ويتهشم ما فيه من أوان. فإذا ما صعدوا إلى المخزن لاستطلاع أسباب الضجة أسرع بالهرب إلى الخارج.

– لابد أن تأتي معي.

فقالت في اقتضاب:

– سألحق بك.

وغادرا المخزن معًا، واختبأ "**تومي**" تحت السلم، وتركته "**آنيت**" ومضت إلى الرئيس وسمعها تقول:

– ما هذا الصياح؟ ما الذي جرى؟

ورد عليها الرئيس:

– ألا تعرفين أين مفتاح الغرفة؟

فأجابت:

– إنه معي.

وناولته المفتاح، وفتح الباب، وخرج "**كونراد**" ثائرًا، أما رقم 14 فكان لا يزال غائبًا عن الوعي.

وطبقًا لتعليمات "**آنيت**". جذب "**تومي**" الحبل المشدود إلى الدولاب بكل قوته، فوقع الدولاب وتهشمت الأواني، وعلى أثر الضجة هرعوا صاعدين إلى المخزن المعلق. وعندها لم يتردد "**تومي**" لحظة واحدة.

اجتاز الدهليز وثبًا، وراح يهبط الدرج حتى انتهى إلى الطابق الأرضي، ثم تريث هناك وراح ينتظر "**آنيت**"، ولكنها لم تأت، وإنما سمعها تصرخ:

– يا إلهي.. لقد اختفى. لقد هرب..

وأدرك أنها ترمي بصرختها إلى أن تحثه على مواصلة الفرار وحده دون أن ينتظرها. وجاءه صوتها مرة أخرى يصيح:

– لا أريد أن أبقى لحظة واحدة في هذا البيت الملعون. أريد أن أعود إلى "**مرجريت**"! اذهبوا بي إلى "**مرجريت**".

ولم يجد "**تومي**" مناصًا من متابعة الفرار، وسمع وقع أقدامهم في أثره. ولحق به "**كونراد**"، فعاجله بلكمة ألقته على الأرض صريعًا. وسمع دوي طلق ناري في أعقابه، ولكن الرصاصة لم تصبه؛ إذ كان قد بلغ الباب الخارجي، ففتحه ودلف منه إلى الخارج، وهو يركض بأقصى ما تستطيع قدماه أن تحملاه حتى أفلت منهم. ثم دلف إلى أحد المطاعم حيث تناول فطورًا دسمًا، وهو يتصفح إحدى صحف

الصباح.

وفجأة حملق إلى الصحيفة مذهولا. كانت أمام عينيه صورة لعضو العصابة رقم واحد، وقد كتب تحتها:

« السيد "**كارامين**" أحد زعماء اليسار المتطرفين يصل إلى "**لندن**" ». والتهم طعامه بعجلة زائدة، وانطلق إلى مقر الوزارة في "**هوايتهول**"، وبعث ببطاقة إلى الرجل الذي كان "**تومي**" وأصحابه ما زالوا يعرفونه حتى الآن باسم السيد "**كارتر**". وقال له:

- يؤسفني يا سيدي أن اضطررت إلى مقابلتك هنا، فإن الأمر خطير وعاجل.

وروى له في إيجاز ما انتهى إلى أذنيه من حديث أفراد العصابة وهو يسترق السمع إلى ما دار بينهم. وقال:

- واليوم رأيت صورة السيد "**كارامين**" في صحف الصباح، فإذا به هو نفسه رقم واحد.

فقال السيد "**كارتر**":

- لقد كنا نرتاب فيه من قبل، وكنا نتابع تحركاته، أما الآخرون فما زلنا نجهل شخصيتهم الحقيقية.

وتناول ظرفًا من درج مكتبه، وأعطاه إليه، وهو يقول:

- افحص هذه الصور.. هل تعرف أحد أصحابها؟

وتناول التليفون. وأصدر بعض الأوامر العاجلة، ثم قال:

- والآن هيا بنا يا سيد "**بريسفورد**" إلى ذلك البيت في حي "**سوهو**" لنفتشه، وسيسبقنا رجال الشرطة إليه. وتلقاهما مفتش الشرطة عند الباب، ومال إلى السيد "**كارتر**" يهمس في أذنه ببعض الكلمات، وتحول هذا إلى "**تومي**" قائلا:

- لقد أفلت العصفور كما توقعت.

ورجع "**تومي**" إلى فندق "**ريتز**" متلهفًا إلى لقاء "**كواتسو**"؛ ليروي لها ما مر به من أحداث. ولكن خاب رجاؤه؛ إذ قيل له إن الآنسة "**كواتسو**" غادرت الفندق منذ ربع ساعة.

- 18 -

جلس "**تومي بريسفورد**" في مطعم الفندق وطلب طعامًا دسمًا شهيًا. وحين جاء "**جوليوس هير شايمر**" إلى القاعة، ووقع بصره على "**تومي**" أقبل عليه هاتفًا:

– أين كنت يا رجل؟ لقد حسبناك ميتًا؟

فضحك "**تومي**" وقال:

– إني– كما ترى– عصي على الموت.

– ولكن أين "**كواتسو**"؟ هل قابلتها؟

– كلا، فقد قيل لي في الاستعلامات: إنها غادرت الفندق منذ فترة وجيزة.

– لقد عدت بها إلى الفندق منذ ساعة تقريبًا، والآن حدثني بما جرى لك خلال هذه الأيام الأربعة.

وروى "**تومي**" قصته في تفصيل وإسهاب. ثم أردف:

– والآن حدثني يا "**جوليوس**" بما كان من أحداث في جبهتك.

وبدوره أخذ "**هير شايمر**" يسرد حكايته.

وقال "**تومي**" متسائلا:

– ولكن من الذي قتل السيدة "**فانديمير**"؟

– لقد قال الطبيب: إنها تناولت قدرًا يزيد على الكمية المناسبة من منوم قوي. أما السيد "**جيمس**" فظل محتفظًا برأيه شأن رجال القانون.

ثم انتقل "**هير شايمر**" إلى الحديث عن "**جين فين**"، فقال "**تومي**":

– "**جين فين**" فقدت ذاكرتها! وهذا هو السبب في أنهم ذكروا لي عندما طلبت إليهم استجوابها. أنها لن تفضي إليّ بشيء على الإطلاق.

ثم أردف:

– أتعتقد أن السيدة "**فانديمير**" انتحرت؟

– لا أظن! إننا نعتقد أن السيد "**براون**" هو الذي قتلها.

– ولكن أنّى له ذلك، وليس له أجنحة يدخل بها من النافذة أو يخرج!

ـ لا أدري.. لعل له قوة مغناطيسية خارقة، فتسلط عليها وأوحى إليها بأن تقتل نفسها.

فقال "**تومي**":

ـ هيا بنا نفتش مسكنها، فقد نعثر على أثر يرشدنا إلى الحقيقة.

واستفسرا من مكتب الاستعلامات عن الآنسة "**كواتسو**"، فعلما أنها لم ترجع بعد.

فقال "**جوليوس**":

ـ سأصعد إلى جناحي لحظة، فلعلها هناك في انتظاري.

ووقف "**تومي**" ينتظر عودة "**جوليوس**" وأقبل عليه أحد الخدم، وقال له:

ـ إني أعتقد يا سيدي أن الآنسة "**كواتسو**" سافرت.

ـ سافرت؟ ولكن كيف عرفت؟

ـ لقد سألتني أن أحضر لها سيارة أجرة، وسمعتها تطلب إلى السائق أن يذهب بها إلى محطة "**شيرنج كروس**".

واستطرد:

ـ وقبل ذلك طلبت إليّ دفتر مواعيد القطارات فور أن قرأت البرقية.

ـ برقية؟ ومتى كان ذلك؟

ـ حوالي الحادية عشرة والنصف يا سيدي.. ما كادت تقرأ البرقية حتى طلبت إليّ أن آتيها بدليل السكك الحديدية، ثم هتفت بي في لهفة: «استدع لي سيارة أجرة وأسرع، أرجوك». وجاء "**جوليوس هير شايمر**" فنقل إليه "**تومي**" ما سمعه من الخادم. ورأى خطابًا في يد "**جوليوس**"، فسأله:

ـ أهذا الخطاب منها..؟

فأومأ إيجابًا، فعاد يسأله:

ـ هل أشارت فيه إلى وجهتها..؟

ـ كلا.. لم تقل فيه كلمة واحدة عن اعتزامها السفر.

فاستبدت الحيرة بـ"**تومي**"، وقال:

– إذن لماذا كتبت إليك..؟

فبدا الارتباك قليلا في وجه "**جوليوس**"، وقال:

– أولى بي أن أكون صريحًا معك.. لقد عرضت عليها أن أتزوجها، وهذا الخطاب يتضمن ردها عليّ.

فغشيت وجه "**تومي**" سحابة من الاكتئاب، وفطن "**جوليوس**" إلى هذا، فبادره بقوله:

– لقد سألتها إذا كنتما خطيبين، فلما أجابت بالنفي، رأيت أن ليس ثمة ما يحول دوني والتقدم إلى خطبتها.

فقال "**تومي**" في صوت خافت به رنة من الأسى:

– دعني أزجي إليك التهنئة.

فقال "**جوليوس**":

– وعلام التهنئة وقد رفضت أن تتزوجني؟

– رفضت.. ما هذا الذي تقول؟

ودفع إليه "**جوليوس**" بالخطاب، وكان هذا نصه:

«عزيزي "**جوليوس**" – إن من المستحيل عليّ أن أفكر في الزواج قبل رجوع "**تومي**"، فلنطرح هذا الموضوع جانبًا، ولا نفكر فيه في الوقت الحاضر– "**كواتسو**"».

وأشرق وجه "**تومي**" وهو يعيد الخطاب إلى صاحبه، وإن راودته بعض الهواجس، فهي لم ترفض رفضًا قاطعًا، وإنما أرجأت الأمر إلى حين عودة "**تومي**".

وقال "**تومي**":

– والآن هيا بنا إلى غرفتها، فقد نجد البرقية التي تلقتها فحملتها على المبادرة إلى السفر. وفعلا كانت البرقية هناك.. في سلة المهملات. وكان هذا نصها:

«احضري حالا.. ڤيللا "**موي**".. "**إيبري**".. "**يوركشاير**".. أحداث خطيرة».

"**تومي**"

وتبادل الشابان نظرات ذاهلة، وكان "**جوليوس**" هو أول من تكلم. قال:

– إنك طبعًا لم تبعث إليها بهذه البرقية؟

– كلا.. إني لا أعرف شيئًا عنها. فما معنى هذا؟

– المعنى جلي واضح.. كمين نصب لها.

وهتف "**تومي**":

– يا إلهي! وما العمل الآن؟

– نبادر إلى اللحاق بها..

وحمل إليهما خادم الفندق دليل القطارات، فتفحصاه وقال "**جوليوس**":

– إنها استقلت قطار الساعة 12 و50 دقيقة، وليس أمامنا إلا قطار الساعة 3 و20 دقيقة وبذلك تكون قد سبقتنا بثلاث ساعات.

– يا إلهي! إنها فجوة طويلة بيننا.

وبعد نصف ساعة كانا في المحطة يستقلان القطار. وقال "**جوليوس**" متسائلا:

– ولكن ما الذي دعاهم إلى اختطافها؟!

فأجاب "**تومي**":

– حجزوها لديهم رهينة يهددوننا بها، فإذا نحن وقعنا على معلومات ذات شأن هددونا بإنزال الأذى بها، فنضطر إلى أن نلجم ألسنتنا.

ووصلا أخيرًا إلى محطة "**إيبري**"، وسألا عامل التذاكر:

– أتعرف ڤيللا "**موي**"؟

– أعرفها طبعًا.

– هل نزلت في المحطة من قطار 12 و50 دقيقة فتاة ذات شعر أسود استفسرت منك عن ڤيللا "**موي**"؟

وأجاب عامل التذاكر بأن هذا لم يحدث، وأنه لا يذكر على أية حال أن فتاة غادرت هذا القطار، لا سوداء الشعر ولا شقراء. واستقلا إحدى المركبات، وطلبا إلى الحوذي أن يذهب بهما إلى ڤيللا "**موي**". كانت الڤيللا تقع عند شاطئ البحر،

في بقعة نائية معزولة عن البيوت والعمران.

وكانت عتبة البيت قذرة يعلوها الغبار مما يوحي بأنه لا أحد قد تخطاها منذ فترة وجيزة. وضغط "**جوليوس**" الجرس مرة بعد مرة، ولكن دون أن يلبي أحد النداء. وقال "**جوليوس**":

– أولى بنا أن نعود إلى البلدة؛ لنقوم بالاستفسار فلعل أحداً رآها وهي تتجه إلى الڤيللا.

ولكن لم يكن هناك من شاهد فتاة تسير في الطريق إلى ڤيللا "**موي**". وقال لهما أحد العمال:

– عليكما بسؤال السيدة "**أسويني**" فهي التي تحتفظ لديها بمفتاح الڤيللا.

ولكن السيدة "**أسويني**" أكدت لهما أن المفتاح لم يُطلب منها منذ شهور. وعجبا للأمر، واستبد بهما القلق، وعادا مرة أخرى إلى البيت يجوسان خلال حديقته.

وقال "**تومي**":

– إن المدخل مغطى بطبقات من التراب، وليس به أثر لأية قدم.

فقال "**جوليوس**":

– أولى بنا أن نقضي ليلتنا في أحد فنادق القرية، على أن نعود في الصباح فنواصل البحث على ضوء النهار.

وعادا في صباح اليوم التالي يفتشان وينقبان. وفجأة هتف "**تومي**" وهو ينحني إلى الأرض:

– ما هذا؟

وتناول شيئًا أراه لـ"**جوليوس**" وهو يقول:

– هذا الدبوس ملك لـ"**كواتسو**"!

– أمتأكد أنت؟

– كل التأكد، فقد رأيتها مراراً ترشقه في ثوبها.

– إذن فما من شك في أنها جاءت إلى الڤيللا. أليس من العجيب أن أحداً من

أهل البلدة لم يلمحها؟

– إذن فلنعد إلى القرية ولنعاود الاستفسار والتحري.

وطافا بالقرية يسألان الأطفال والعجائز من النساء، ويستفسران من جميع سائقي المركبات والسيارات الأجرة عنها، ولكن جهودهما ذهبت أدراج الرياح، وبدا كأن الفتاة قد تلاشت في الهواء. وقال "**تومي**":

– يجدر بنا أن نعود على الفور إلى "**لندن**".

فقال "**جوليوس**" مؤمنًا:

– صدقت.. فمثل هذا البحث ليس من شأننا، فعلينا أن نبادر إلى إبلاغ "**اسكتلانديارد**"، وسوف أرصد مكافأة كبيرة لأي شرطي يدلي إلينا بمعلومات مفيدة عن الآنسة "**كواتسو**".

وقال "**تومي**":

– أما أنا فسأبقى في القرية أيامًا أخرى، فلعلي أصل إلى شيء.

فقال "**جوليوس**":

– فليكن.. أما أنا فعائد من فوري إلى "**لندن**"، وسأبعث إليك باثنين من رجال الشرطة السريين. ولكن في نفس اليوم تلقى "**تومي**" برقية من "**جوليوس**" يقول فيها:

«قابلني في "**مانشستر**" في فندق "**ميلاند**".. أنباء جديدة مهمة.. "**جوليوس**"». وفي السابعة والنصف مساء، نزل "**تومي**" من القطار فوجده في انتظاره على رصيف المحطة. وسأله:

– هل عثرت على الآنسة "**كواتسو**"؟

فأجاب:

– كلا.. ولكني وجدت هذه البرقية في انتظاري في فندق "**ريتز**" عند عودتي إلى "**لندن**".

وكان هذا نصها:

«لقد عثرنا على "**جين فين**".. احضر حالا إلى فندق "**ميلاند**" في

"**مانشستر**" .. "**چيمس إدجارتون**" ».

واسترد "**جوليوس**" البرقية ودسها في جيبه وهو يقول:

– وأنا الذي ظننت أن السيد "**چيمس**" لم يعد يهتم بالموضوع!

- 19 -

كان السيد "**چيمس إدجارتون**" في انتظار "**جوليوس**" في فندق "**ميلاند**"، فقدم إليه هذا "**تومي بريسفورد**"، ورحب به السيد "**چيمس**" في حرارة، وقال:

– طالما سمعت الآنسة "**كواتسو**" تتحدث عنك حتي ليخيل إليّ أني أعرفك من قبل. وتساءل "**جوليوس**":

– كيف عثرتم على "**جين فين**"؟ وأين كان ذلك؟

وابتسم السيد "**چيمس**" في هدوء، وقال:

– أليس حسبك أننا عثرنا عليها؟

وهتف "**جوليوس**":

– ولكن أين هي؟ أين ابنة عمي؟ لماذا لم تحضرها معك؟

– لأن حضورها مستحيل.

– لأنها أصيبت في حادث سيارة ونقلت إلى مركز الإسعاف، وحين بلغني النبأ أمرت بنقلها إلى مستشفى أحد كبار الأطباء من أصدقائي، ولكنها ما زالت في غيبوبة.

– وهل إصابتها خطيرة يا ترى؟

– كلا.. مجرد جرح سطحي، وقرر الطبيب أن ذاكرتها عادت إليها بسبب الصدمة التي تلقتها.

فهتف "**جوليوس**" بابتهاج:

– أحقًا عادت إليها ذاكرتها؟

– طبعًا.. فقد ذكرت اسمها الحقيقي قبل أن يغمى عليها.. قالت: إنها تدعى

"**جين فين**" .

وقال "**جوليوس**" :

– بعد العشاء سأذهب لزيارة ابنة عمي.

فقال السيد "**چيمس**" :

– هذا مستحيل، بل سنذهب إليها غدًا حوالي العاشرة صباحًا. إن الدخول الآن غير مباح.

فقال "**جوليوس**" في عناد وإصرار:

– إن لي وسائلي الخاصة، وسأعرف كيف أجعلهم يخرجون على قواعدهم المرعية.

فلم يزد السيد "**چيمس**" على أن قال:

– بل غدًا صباحًا.

واضطر "**جوليوس**" أن ينصاع مذعنًا؛ إذ كان لا يعرف عنوان الطبيب ولا اسمه.

والتفت السيد "**چيمس**" إلى "**تومي**" قائلا:

– لقد أدهشني أن أراك الليلة هنا يا "**بريسفورد**" . فقد كان صديقاك شديدي القلق إذ أخبراني بأنك اختفيت فجأة دون أن تخطرهما بمكانك.

فأجاب "**تومي**" باسمًا:

– كان هذا كرهًا عني، فقد وقعت في كمين.

وتلبية لطلب السيد "**چيمس**" أخذ "**تومي**" يسرد عليه الأحداث التي وقعت في بيت العصابة في حي "**سوهو**" . قال السيد "**چيمس**" يثني على "**تومي**" وقد فرغ من قصته:

– الحق أنك فتى شجاع.

– ولكني ما كنت لأنجو بحياتي وحريتي لولا أن خفت هذه الفتاة "**آنيت**" إلى نجدتي.

– هذا صحيح.. وهذه الفتاة عضو في العصابة فيما يبدو؟

– هذا هو ما أعتقده يا سيدي.

واستطرد "**تومي**" يقول:

– لقد غاب عني أن أحدثك بما كان من أمر "**كواتسو**".

– وماذا بشأنها؟

– لقد اختفت يا سيدي.

وروى له حكاية البرقية المدسوسة المزورة، والتي تلقتها "**كواتسو**" فسافرت على أثرها إلى ڤيللا "**موي**". فقال السيد "**چيمس**":

– إذن فقد اتخذوها رهينة؛ ليلجموا لسانك وليجبروك على السكوت.

– هذا هو ما خطر لي يا سيد "**چيمس**".

– إذن فاطمئن إلى أنهم لن يلحقوا بها أذى ما دمت لائذاً بالصمت. وبشرط ألا يعرفوا أنا عثرنا على "**جين فين**" وأنها استعادت ذاكرتها.

فقال "**تومي**":

– من يدري.. إن هذا الرجل السيد "**براون**" شيطان في صورة إنسان.

فأطلق "**جوليوس**" ضحكة ساخرة، فسأله السيد "**چيمس**":

– ألا تؤمن بوجود السيد "**براون**"؟

– كلا.. إنه مجرد شخصية خرافية ابتدعت لتضليل الشرطة.. إني أعتقد أن الرئيس الحقيقي هو ذلك الفوضوي المدعو "**كارامين**". أما "**هوايتنج**" فلعله رئيس الشعبة الإنجليزية من هذه العصابة.

في العاشرة من صباح اليوم التالي التقى الرجال الثلاثة للمرة الثانية، وذهبوا إلى المستشفى الذي تعالج فيه "**جين فين**" من إصابتها في حادث السيارة. وقدم السيد "**چيمس**" صاحبيه إلى الطبيب، ثم سأله عن حالة الفتاة، فأجاب:

– إنها الآن بخير، وقد استعادت ذاكرتها كما سبق أن قلت لك، ولكن من الواضح أنها لا تعي مرور الزمن، وأن السنوات الثلاث التي مرت بها محيت من ذاكرتها.

فقد سألت هذا الصباح عن عدد الركاب الذين غرقوا. وهل غرق أحد من قوارب النجاة.

وقال السيد "**چيمس**" :

– أيمكن أن تأذن لنا بمقابلتها؟

– بكل تأكيد.

وقادهم الطبيب إلى غرفة المريضة، و"**تومي**" يسير وراءه سعيداً مغتبطًا.. أخيراً عثروا على "**جين**"! وفتح الطبيب باباً، ودعاهم إلى الدخول، ثم استأذن منهم وانصرف إلى شأنه. وعلى السرير الأبيض كانت ترقد فتاة جميلة، ورأسها معصوب بالأربطة والضمادات. وتطلعت الفتاة إلى الزائرين بعينين ذاهلتين.

وكان السيد "**چيمس**" هو أول من تكلم. قال:

– آنسة "**فين**".. هذا هو ابن عمك السيد "**جوليوس هير شايمر**".

وحين مد إليها يده يصافحها، تخضب وجهها احمراراً وبأسلوبه المرح قال لها:

– كيف حالك يا ابنة العم العزيزة؟

وقالت الفتاة في دهشة:

– أأنت حقًّا ابن العم "**هيرام**"؟

– طبعًا.. وإلا فمن أكون سواه؟

واستطردت "**جين فين**":

– كثيراً ما قرأت اسمه في الصحف. لقد كانت أمي على يقين بأنه لن يصالحها، ولن يصفح عنها أبداً.

فقال "**جوليوس**":

– تلك صفحة طويت وانقضت، فلنطرح وراءنا تلك المشاحنات العائلية ولننسها، فقد حزمت أمري مذ مات أبي على أن أبحث عنك وأعثر عليك.

فقالت الفتاة:

– لقد مرت بي سنوات لا أذكر عنها شيئًا.. سنوات ضائعة لا حساب لها في العمر.

– ما الذي تذكرينه يا "**جين فين**" عن غرق الباخرة "**الباسيفيك**"؟

– كل ما أذكره عنها اجتماعنا على ظهر الباخرة ونزولنا إلى قوارب النجاة.

- وماذا بعد ذلك؟

- لا شيء على الإطلاق.

ومال إليها "**جوليوس**" يقول في هدوء:

- "**جين فين**".. هناك شيء مهم نريد أن نسألك عنه، فهل تذكرينه يا ترى؟ كان على ظهر "**الباسيفيك**" رجل معه وثائق مهمة، ويعتقد بعضهم أنه عهد إليك بهذه الوثائق قبيل غرق الباخرة، فهل هذا صحيح؟

وغشيت محياها مسحة من التردد، ونقلت بصرها بين الرجلين الآخرين، وأدرك "**جوليوس**" ما ترمي إليه، فقال:

- إن السيد "**بريسفورد**" مفوض من الحكومة الإنجليزية بالبحث عن هذه الأوراق، أما السيد "**چيمس إدجارتون**" فعضو في البرلمان وإليه يرجع الفضل في عثورنا عليك، فيمكنك أن تتكلمي أمامهما دون حرج أو تردد.

ثم أردف:

- هل عهد إليك "**دانفيرس**" بهذه الوثائق؟

وأجابت:

- نعم.. وقد برر هذا بأن أمام النساء والأطفال فرصة أكبر للنجاة؛ لأنهم يغادرون الباخرة قبل الرجال.

وقال "**جوليوس هير شايمر**":

- هل يمكن أن تعيدي إلينا هذه الأوراق؟

فأجابت:

- كلا.

فقال "**جوليوس**" في دهشة:

- ولِمَ لا؟

- لأنها ليست معي.. لقد خبأتها في مكان سري. فقبل أن أفقد ذاكرتي بعد نجاتي من الغرق وجدت الوثيقة في جيبي مختومة بالشمع الأحمر، ومؤشراً عليها «سري جداً» ومكتوباً عليها «تسلم إلى وزارة الخارجية»، وشعرت بأن هناك من

يتجسس عليّ ويتعقب خطواتي، فما كان مني إلا أن أودعتها مخبأ سريًّا في جزيرة "**هولد هيد**" حيث رسا بي قارب النجاة.

فسألها "**جوليوس**":

- أيمكن أن تصفي لنا هذا المخبأ؟ إننا في حاجة إلى الأوراق، وما دام الطبيب مضطراً إلى استبقائك حتى تشفي من إصابتك، فإننا نستطيع أن نبادر إلى المخبأ ونستعيدها.

فقالت:

- إلى يسار مرسى البواخر طريق ضيق متفرع من الطريق العام، وفي أقصى الطريق الفرعي صخور ضخمة من بينها صخرة على شكل كلب يقف على قائمتيه الخلفيتين، وفي هذه الصخرة فجوة عميقة دسست فيها اللفافة، ثم سددت مدخل الفجوة بالطين والأحجار.

- ألم يتعقبك أحد إلى هذه الصخرة؟

- كلا. كان المكان مكشوفًا لا يستطيع أن يسير فيه إنسان إلا رأيته.

واستطردت:

- وبعد أن اطمأننت إلى سلامة الوثيقة عدت إلى القرية وركبت القطار. وكان في مقصورتي رجل وامرأة يجلسان أمامي، فجعلا يرمقانني بنظرة فاحصة ويتهامسان. وعندما قمت لأدخن سيجارة في الممشى، قالت لي المرأة: «شيء وقع منك يا آنسة»، فلما انحنيت لأتبين ما سقط مني بادرني الرجل بضربة على رأسي أفقدتني الوعي، ولم أفق إلا وأنا على سريري في المستشفى، وقد فقدت ذاكرتي، فلم أعد أذكر شيئًا عن الماضي، أو عن الوثيقة طبعًا.

فقال "**جوليوس**" في حماس وانفعال:

- اطمئني بالا يا ابنة العم العزيزة.. سوف نأتي بالأوراق من مخبئها في "**هولي هيد**"، ونسلمها إلى ذوي الشأن في "**لندن**"، ثم أوافيك هنا فنسافر معًا إلى "**أمريكا**" حيث أمنحك جزءاً من ثروتي، فتعيشين في رخاء، وتنسين ما مر بك من أهوال.

- 20 -

عقد الرجال الثلاثة «مجلس حرب» عند باب المستشفى ومضوا يتداولون في الخطة المستقبلة. تطلع السيد "**چيمس**" في ساعته، وقال:

– المركب الصغير الذي ينقل المسافرين إلى "**هولي هيد**" يرسو في "**شيستر**" في الساعة 12 و14 دقيقة، فإذا أسرعتما استطعتما أن تلحقا به.

– وأنت يا سيدي؟ ألا تنوي أن تصحبنا؟

– كان بودي ذلك، ولكني مضطر إلى العودة إلى "**لندن**" في الحال.

– إني آسف جداً.

وقال "**جوليوس**":

– يبدو أن مهمتنا قد كللت بالنجاح، فالعثور على المخبأ أمر هين لا صعوبة فيه.. مجرد لعبة أطفال.

فقال السيد "**چيمس**" في تؤدة ورزانة:

– إنك ما زلت شاباً، في عنفوان حماسك يا سيد "**هير شايمر**"، ولكن لو أنك كنت في مثل سني ولك خبرتي لما تهاونت قط في تقدير غريمك، ولما استهنت بأمره.

فقال "**جوليوس**" مستخفاً:

– أتريد أن تقول: إن السيد "**براون**" قد يفاجئنا عند الصخرة وينتزع الأوراق؟

واستطرد "**هير شايمر**" يقول:

– ومع ذلك فأنّى للسيد "**براون**" أن يقف على سر المخبأ؟

فقال السيد "**چيمس**" في بساطة:

– وهل نسيت أنه استطاع أن يعرف أن السيدة "**فانديمير**" تنوي الغدر به، فاغتالها على الرغم من أنها لم تتحدث في هذا إلا مع الآنسة "**كواتسو**" وحدها؟

واستطرد السيد "**چيمس**":

– لقد أردت فقط أن أحذركما لتأخذا الحيطة الواجبة. وعليكما إذا حاول السيد

"**براون**" وأعوانه أن يستولوا على الوثيقة أن تبادرا إلى إعدامها؛ حتى لا تقع في أيديهم.. والآن إلى اللقاء، وحظًا موفقًا.

ولبث الشابان فترة طويلة لا يتبادلان كلمة واحدة.

وفجأة قال "**جوليوس**" وقد ندت عن صدره تنهدة خفيفة:

– ألا ما أغرب الدنيا! تصور أني حضرت من "**أمريكا**" إلى "**إنجلترا**" لأبحث عن "**جين فين**". وكان في نيتي حين أهتدي إليها أن أبادر إلى الزواج بها في الحال.

فتساءل "**تومي**":

– أتراك عدلت عن رأيك؟

– نعم.. لقد انهار السراب الذي كنت أتعلق به.. حين رأيت صورتها لأول مرة تعلق بها قلبي، أما الآن..

وسكت، فقال "**تومي**":

– ولكنها في رأيي تبدو جميلة فاتنة.

– وهذا هو رأيي أيضًا، ولكنها مختلفة عن صورتها إلى حد كبير.. أعني أن.. أن في صورتها شيئًا افتقدته فيها هي نفسها حين رأيتها.

فقال "**تومي**" في مرارة:

– هذا دائمًا حال الدنيا.. تقع في غرام فتاة، ثم إذا بك تخطب أخرى غيرها.

فعقب "**جوليوس**" على هذا بأن قال:

– ألا ما أحمق الرجال!

أخيرًا بلغ الشابان بلدة "**شيستر**"، ولم يكن من العسير عليهما أن يهتديا إلى الممر الضيق المتفرع من الطريق العام. كان ممرًا صغيرًا تحف به الأشجار من جانبيه، ولا يتسع في بدايته إلا لعربة صغيرة من الطراز الذي يجره جواد واحد. واستقلا إحدى المركبات، وطلبا إلى الحوذي أن يمضي بهما في هذا الطريق الفرعي، وأن يسير على مهل. وأخذا يلقيان البصر على ما حولهما يبحثان عن تلك الصخرة التي حدثتهما عنها "**جين فين**" صخرة تشبه كلبًا يقبع على قائمتيه الخلفيتين.

وضاق بهما الطريق، وتدانت الأشجار، وبدأت أغصانها تتشابك. وقال الحوذي:

– يستحيل أن أمضي من هنا، فإن الطريق لم يعد يتسع للمركبة.

ونزلا من العربة، وصرفاها، ومضيا يسيران على الأقدام، ويشقان طريقهما بين الشجيرات.

وانتهت بهما المسيرة إلى ساحة مكشوفة مليئة بالصخور الضخمة. وقفا يجيلان البصر هنا وهناك. وفجأة هتف "**تومي**":

– يا إلهي! انظر يا "**جوليوس**"!

وتطلع "**جوليوس**" إلى حيث أشار "**تومي**". نعم.. هناك على البعد.. كانت الصخرة قائمة تتراءى للأبصار. كانت صخرة عجيبة لها شكل الكلب الذي يقبع على قائمتيه الخلفيتين. وأسرعا إليها راكضين يساورهما الأمل والرجاء. وقال "**تومي**":

– ترى، هل سنهتدي بسهولة إلى المخبأ الذي في الصخرة؟ وهل نجد بداخله اللفافة المنشودة؟

– ولِمَ لا؟!.. طبعًا سنجدها مكانها.

– أغاب عنك أن الأولاد دائمًا يدسون أيديهم في مثل هذه الشقوق بحثًا عن أعشاش الطيور؟

– ولكن "**جين فين**" قالت إنها سدت الشق بالطين.

ووقفا أمام الصخرة الضخمة يديران فيها عيونهما بحثًا عن الشق المسدود بالطين. وأخيرًا استقرت عليه عيونهما. وأخرج "**جوليوس**" مطواته، وأزال الطين الصلب المتجمد الذي يسد الفوهة، ثم مد يده وأدخل ذراعه في الشق.

وهمس بعد لحظات يقول:

– يا إلهي! حتى الآن لم تصطدم يدي بشيء.. لقد انحشرت ذراعي ويستحيل أن تمتد أكثر من هذا.

فقال "**تومي**":

– لعل أحدًا عثر على اللفافة.

فقال "**جوليوس**" وما زال الأمل يراوده:

– لعل "**جين فين**" دست اللفافة في نهاية الشق؛ فإن ذراعها أرفع من ذراعي.
وسحب "**جوليوس**" يده، وقال "**تومي**":
– والآن.. ما العمل؟ كيف يمكن أن نصل إلى طرف الفجوة؟
وفجأة هتف:
– آه... إن لدي فكرة.
وأمسك بالمطواة، وللمرة الثانية دفع يده داخل الفجوة. واصطدم نصل المطواة بشيء، وغرز سن النصل في هذا الشيء، ثم عاد وسحب ذراعه. وكان هذا الشيء لفافة صغيرة مختومة بالشمع الأحمر. ووقف الشابان يتأملان اللفافة ذاهلين فاغري الفم. لقد نجحت المهمة، وعثرا على المعاهدة السرية، ولم تذهب جهودهما هباء. تناول "**تومي**" اللفافة من "**جوليوس**"، وفض الأختام، وفك طيات القماش، فانكشفت عن ظرف صغير. وفض الظرف، وأخرج الورقة التي في داخله، ثم نشر الورقة، وألقى عليها نظرة عاجلة. ولكن لم يكن مسطوراً على الورقة إلا جملة واحدة:
«مع تحيات السيد "**براون**"»

- 21 -

صحا "**تومي**" في اليوم التالي شاحب الوجه، يفيض قلبه بالحزن واليأس. ومضى إلى مقابلة السيد "**كارتر**"؛ ليوافيه بتقرير عن الأحداث. وقال له واجماً والكلمات تتعثر على شفتيه:
– سيدي.. يجب أن أعترف بأني منيت بالفشل الذريع.
فرمقه السيد "**كارتر**" بنظرة فاحصة، وسأله:
– أتريد أن تقول إن....
فبادره مقاطعاً:
– أريد أن أقول إن المعاهدة السرية بين يدي السيد "**براون**".

– وكيف هذا؟ كيف عرفت؟

وروى له ما كان من أمر الأحداث الماضية، وما انتهت إليه من الاهتداء إلى المخبأ السري. مخبأ ليس فيه إلا قصاصة ورق تهزأ كلماتها من كل من يعثر عليها.

وعقب السيد "**كارتر**" بقوله:

– على أية حال إنك فعلت أقصى ما تستطيع من جهد. وإذا كنت قد فشلت، فلأنك تناضل ضد عبقري في الإجرام، فلا تبتئس.

– شكرًا يا سيدي على هذه المواساة الرقيقة.

وتناول السيد "**كارتر**" ورقة من فوق مكتبه، وقال في لهجة حزينة:

– أرى من واجبي ألا أكتم عنك المأساة التي وقعت. فحملق إليه "**تومي**" وقال متسائلا:

– ماذا؟ "**كواتسو**"؟

ودفع إليه "**كارتر**" بالورقة وهو يقول:

– أولى بك أن تقرأ بنفسك.

ولم يكن في القصاصة إلا وصف تفصيلي لقبعة خضراء، ومنديل عليه الحرفان: «ب. ك» وفستان برتقالي. عثرت عليها الشرطة ملقاة على شاطئ البحر في منطقة "**أوبري**". وتراقصت الكلمات أمام عيني "**تومي**"، وراح يقول:

– يا إلهي "**كواتسو**"! هل نالها هؤلاء الأوغاد؟ هل قتلوها؟ لابد أن أنتقم! سأطاردهم حتى أدفع بهم إلى حبل المشنقة. ثم أمسك؛ إذ رأي نظرات الإشفاق تطل من عيني السيد "**كارتر**".

وقال "**كارتر**":

– نصيحتي إليك يا بني أن تنسى.. إنهم جبابرة أقوياء.

– أأنسى "**كواتسو**"؟ محال أن أنساها.. لابد أن أنتقم. وداعًا يا سيدي.

وانبعث واقفًا، وغادر الغرفة في خطوات سريعة.

ما إن رجع "**تومي**" إلى فندق "**ريتز**" حتى سارع يحزم حقائبه تأهبًا للرحيل.

ووجد في انتظاره خطابًا من السيد "**چيمس إدجارتون**" يخطره فيه بأنه عرف أن

"**كواتسو**" لقيت مصرعها من نبأ نشرته «الصحيفة الجنائية»، وأبدى المحامي الكبير مواساته وعطفه البالغ، وعرض عليه أن يدبر له عملا في "**الأرجنتين**". وراح "**تومي**" يخاطب نفسه:

– يا له من رجل عظيم كريم القلب!

وفتح باب الغرفة فجأة، واقتحم "**جوليوس**" المكان مندفعًا كالعاصفة الهوجاء وهو يهتف.

– أهذا صحيح؟ أحقًّا أنهم قتلوها؟

– نعم.. لقد قتلوها.

فقال "**جوليوس**":

– هذا ما كنت أخشاه، فطالما ظفروا بالمعاهدة لم تعد لهم حاجة إلى استبقائها رهينة.

فهب "**تومي**" واقفًا، وقد أفلت منه زمام أعصابه، وانفجر يقول:

– وما الذي يهمك أنت من أمر "**كواتسو**"؟ وماذا يكون من شأني أنا الذي أحبها مذ التقينا منذ عشر سنوات. إنها صديقة الصبا.

وقال له "**جوليوس**":

– اسمع يا "**تومي**".. إني..

فابتدره ثائرًا مهتاجًا:

– اصمت! إني لا أريد أن أسمع منك شيئًا.. هيا اغرب عن وجهي واذهب إلى الشيطان! إياك أن تحدثني عن "**كواتسو**" بعد اليوم! إنها لي وحدي، ولا شأن لك بها.. إنها هي التي عالجتني يوم دخلت المستشفى.. كانت تهل عليّ بثياب الممرضات البيضاء، فأشعر وكأن ملاكًا يدخل عليّ.. نعم.. ما كان أجملها في زي الممرضات..!

وفجأة انبثقت فكرة في ذهن "**جوليوس**". فهتف قائلا:

– زي الممرضات؟ انتظر لحظة واحدة. هذه الممرضة التي رأيتها تتحدث مع "**هوايتنج**" في مصحة الدكتور "**هول**".. إنها هي ابنة عمي "**جين فين**".. نعم..

نعم.. إنها "**جين فين**" بعينها.. وكانت تلبس زي الممرضات. إنها إذن لم تكن ممرضة.

فقال "**تومي**":

– إذن فهي خائنة.. إنها جاسوسة.. عضو في العصابة، وهي التي استدرجت "**دانفيرس**" لكي يعهد إليها بالمعاهدة السرية، ثم سلمتها إلى العصابة.

فقال "**جوليوس**" في حنق وغضب:

– إنك تهينني! أنسيت أنها ابنة عمي؟ إنها لا يمكن أن تكون خائنة.

– إلى الشيطان أنت وابنة عمك.

فهب "**جوليوس**" واقفًا وهو يقول:

– لكم كنت أحمق غبيًّا حين تعاونت معك.

ودق "**تومي**" الجرس، فلما لبى الخادم النداء قال له:

– هات الحساب واستدع سيارة أجرة وأنزل حقائبي.

ثم التفت إلى "**جوليوس**" قائلا:

– إني مسافر إلى "**الأرجنتين**".. لقد عرض عليَّ السيد "**چيمس إدجارتون**" أن يلحقني بعمل هناك.

فقال له "**جوليوس**":

– أما أنا فذاهب إلى شركة السكك الحديدية الغربية؛ فإن لي مصلحة هناك أريد أن أنجزها قبل عودتي إلى "**أمريكا**".

فصرخ فيه "**تومي**":

– اذهب إلى "**أمريكا**" أو إلى الشيطان فهذا لا يعنيني في شيء.

وخرج "**جوليوس**" غاضبًا دون أن يحيي "**تومي**". ومشى "**تومي**" إلى المكتب القائم في ركن الغرفة؛ ليحرر خطابًا للسيد "**چيمس**"، يخبره فيه بموافقته على السفر إلى "**الأرجنتين**".. ولكنه لم يجد ورقًا ولا ظرفًا. وضغط الجرس، ولكن أحداً لم يلب نداءه، فقال في نفسه:

– لا شك في أنني أستطيع أن آخذ ما أبغي من غرفة "**جوليوس**".

ومضى إلى جناح "**جوليوس**" المجاور، وكان مطمئنًا إلى أنه لن يلتقي به ما دام قد ذهب إلى شركة السكك الحديدية الغربية. فتح الباب، وكان الجناح خاليًا، ثم اتجه وفتح أدراجه يفتش عن ورق وظرف. واسترعت انتباهه صورة في قاع الدرج فتناولها وأخذ يتأملها، واتسعت عيناه دهشة وذهولا. ذلك أنها كانت صورة "**آنيت**"، الفتاة التي ساعدته على الهرب من وكر العصابة في حي "**سوهو**"! فبحق السماء ما الذي جاء بصورة "**آنيت**"، هذه الفتاة الفرنسية إلى يد "**جوليوس**"؟

إن في الأمر سرًا، فما يكون هذا السر؟

- 22 -

قال رئيس الوزراء مستطردًا حديثه مع "**كارتر**":

– إذن فأنت ترى أن الموقف يبعث على اليأس.

فأجاب "**كارتر**":

– هذا ما يراه ذلك الشاب "**توماس بريسفورد**".

ودفع إلى الوزير بالخطاب الذي كتبه إليه "**تومي**". وكان هذا نصه:

«عزيزي السيد "**كارتر**".. لقد وقعت على اكتشاف أذهلني. إن فتاة المصحة الفاقدة الذاكرة هي "**جين فين**"، ويترتب على هذا أن اللفافة الخاوية التي عثرنا عليها فوق الصخرة والتي أرشدتنا إليها هذه الفتاة لم تكن إلا مشهدا أخرج ببراعة. إني أعتقد أني أعرف مكان "**جين فين**" الحقيقية، وكذلك مخبأ المعاهدة السرية. إنني أرفق مع هذا ظرفًا مغلقًا ضمنته استنتاجاتي فأرجو ألا تفضه إلا في اللحظة الأخيرة، وعلى وجه التحديد عند منتصف ليلة 28 من هذا الشهر. لقد ذهبت في استنتاجاتي أيضًا إلى أن موت "**كواتسو**" غرقًا كان مجرد تمثيلية، وأنها لا تزال على قيد الحياة في الوقت الحاضر على الأقل. وإليك دوافعي إلى هذه الاستنتاجات:

إنهم يسعون إلى العثور على المعاهدة، ولذلك قرروا أن يطلقوا سراح "**جين فين**"؛

ظنًّا منهم أنها ستمضي مباشرة إلى مخبأ اللفافة، إذ إنهم يعتقدون فيما يبدو أنها سليمة لم تفقد ذاكرتها. وإن كان هذا التصرف من جانبهم ينطوي على مخاطرة كبيرة؛ إذ إنها تعرف كل شيء عن العصابة، وقد تفشي أسرارهم، ولكن إذا ثبت لهم أن المعاهدة بين أيدينا، فإن الفتاتين ستكونان في خطر داهم. ولذلك يجب أن نعثر على "**كواتسو**" قبل أن تتمكن "**جين**" من الهرب. كما أنني في حاجة إلى أصل البرقية المزورة بإمضائي والتي وصلت "**كواتسو**" في فندق "**ريتز**" أدعوها فيها إلى مقابلتي. وقد أشار عليّ السيد "**چيمس**" بأن أطلبها عن طريقك. وثمة شيء آخر: أرجو أن تأمر بفرض الحراسة الدقيقة على بيت حي "**سوهو**" ليل نهار.. "**توماس بريسفورد**" ».

وقال رئيس الوزراء متسائلا:

– وأين الظرف المغلق الذي نوَّه به في خطابه؟

– لقد أودعته خزانتي السرية في البنك.

فقال الوزير في شيء من التردد:

– ألا ترى أنه يحسن بنا أن نفضه الآن، فإذا صحت افتراضات الفتى، ظفرنا بالمعاهدة في الحال بدلا من إرجاء الأمر إلى منتصف ليلة 28؟

فقال السيد "**كارتر**" معترضًا:

– إنني أوثر أن ننتظر؛ فإن الجواسيس منبثون حولنا في كل جانب، فإذا شعروا بأننا عثرنا على المعاهدة، بادروا إلى قتل الفتاتين.

– فلننتظر إذن ما دمت ترى هذا.

ثم أردف الوزير متسائلا:

– ولكن أترى أن الفتى من الذكاء والدهاء بحيث يتسنى له التغلب على هذه العصابة الجهنمية؟

– كلا يا سيدي.. إنه رجل عملي ومخلص.. هذا كل ما هنالك، ولكن السيد "**چيمس إدجارتون**" إلى جانبه يعاونه بإرشاداته وتوجيهاته.

– "**إدجارتون**" المحامي عضو البرلمان؟ إنه رجل قدير وقد أحسنتم بأن استعنتم به،

فهو ند قوي للسيد "**براون**".

واستطرد السيد "**كارتر**" قائلا:

– ولقد استفدنا من مساهمته معنا في أبحاثنا، فقد بعث إليّ بقصاصة اقتطعها من إحدى الصحف الأمريكية عن جثة لرجل مجهول عثرت عليها الشرطة على أرصفة الميناء في "**نيويورك**" منذ ثلاثة أسابيع. وطلب إليّ السيد "**چيمس**" أن أولي هذا الأمر عناية كبرى.

– ولكن جثة من هذه؟

– لا أحد يدري. فقد كان الوجه مشوَّهًا إلى درجة تعذر معها تمييز ملامحه.

– وهل لهذا علاقة بالقضية التي نحن بصددها؟

– ربما.. ولكني على أية حال رجوت السيد "**إدجارتون**" أن يوافيني هنا الآن عله يفصح عما يدور في ذهنه في هذا الشأن.

وفي الموعد المحدد جاء السيد "**چيمس إدجارتون**" وصافحه رئيس الوزراء في حرارة وترحيب. وقال له "**كارتر**" في صراحة ودون مواربة:

– لقد ورد خطاب من هذا الشاب "**توماس بريسفورد**". فهل اطلعت عليه يا سيد "**چيمس**"؟

– كلا، ولكنه اتصل بي لكي يشكرني على ما عرضته عليه بشأن إلحاقه بعمل في "**الأرجنتين**"، ثم ذكر لي أنه عثر في أحد أدراج السيد "**هير شايمر**" على صورة لفتاة التقطت في "**كاليفورنيا**"، ثم عقب بشيء أثار ريبتي، فقد قال إن هذه الفتاة هي تلك الفرنسية "**آنيت**" التي عاونته على الهرب من بيت العصابة في حي "**سوهو**"، وقال إنه ترك الصورة في موضعها من الدرج.

وصاح "**كارتر**":

– هذا عجيب.

واستطرد المحامي الكبير:

– وقد هنأته على اكتشافه العظيم فإن له أهمية قصوى. فما دام أن فتاة "**مانشستر**" الفاقدة الذاكرة التي عثرنا عليها في مصحة الدكتور "**هول**" ليست

هي "**جين فين**" الحقيقية، فإن الوضع يختلف، ولكن الفتى لم يفطن إلى ما يطرأ على الموقف من تبدل؛ إذ كان مشغول الذهن باختفاء الآنسة "**كاولي**"، ولهذا سألني عما إذا كنت لا أزال أعتقد أن "**كواتسو**" على قيد الحياة لم تقتل، فأجبته بأن هذا هو ما أومن به. وطلبت إليه أن يحصل على «أصل» البرقية المزورة بتوقيعه المزور والتي يطلب فيها من "**كواتسو**" أن تبادر إلى مقابلته. فقد خطر لي أن بعضهم محا من البرقية المزورة بعض الكلمات بعد أن ألقتها الفتاة في سلة المهملات، وأبدلها بغيرها، حتى يخدعونا فنتتبع أثرًا مضللا، ولا نهتدي إلى مكانها.

فقال "**كارتر**" مؤمنًا وهو يبرز أصل البرقية المزورة من جيبه:

– هذا صحيح يا سيد "**چيمس**".. إنك كنت على حق في استنتاجك، فبعد أن قرأت "**كواتسو**" البرقية وألقتها في سلة المهملات أبدل شخص مجهول بعض كلماتها.

وأخذ يقرأ البرقية الأصلية بصوت عال:

– «قابليني في الحال في ڤيللا "**آستلي**" بلدة "**جيت استون**" في "**كينت**". أحداث مهمة.. "**تومي**"».

واستطرد السيد "**كارتر**":

– وهكذا ذهبت الآنسة "**كاولي**" إلى "**آستلي جيت**" في "**استون**"، بينما لحق بها "**تومي**" و"**جوليوس**" إلى ڤيللا "**موي**" في "**إيبري**" طبقًا لما ورد في البرقية التي غيرت بعض كلماتها، بعد أن قرأتها وألقت بها في السلة. فأصبح نصها:

«قابليني في الحال في ڤيللا "**موي**" في "**إيبري**" في "**يوركشاير**". احداث مهمة.. "**تومي**"».

وتساءل السيد "**چيمس**":

– ألديك أية معلومات عن الأمريكي "**جوليوس هير شايمر**"؟ هل تحريت عنه يا ترى؟

فأجاب السيد "**كارتر**":

– كلا.. أترى من الضروري أن أتحقق من شخصيته؟

وأومأ إيجابًا. وقال رئيس الوزراء متسائلا:

– ولكن كيف وصلت صورة "**جين فين**" الأصلية إلى حوزة الأمريكي؟

فقال السيد "**چيمس**":

– هذا سؤال من شأن السيد "**كارتر**" أن يجيب عنه. يجب أن يعرف ما إذا كان السيد "**براون**" هو نفسه السيد "**جوليوس هير شايمر**" أم لا.

وبعد يومين– حين رجع "**جوليوس**" من "**مانشستر**"– وجد في انتظاره في فندق "**ريتز**" الخطاب التالي:

«عزيزي "**هير شايمر**".. يؤسفني جدًّا أن ثار غضبي، وأنا أتحدث إليك، فأرجو أن تقبل اعتذاري.. لقد عرضت عليّ وظيفة في "**الأرجنتين**"، واستقر رأيي على الرد بالقبول، فوداعًا؛ لأننا لن نلتقي.. "**تومي بريسفورد**"». وارتسمت ابتسامة على شفتي "**جوليوس**"، وقذف بالخطاب إلى سلة المهملات وهو يردد:

– يا له من غبي أحمق!

- 23 -

بعد أن فرغ "**تومي بريسفورد**" من حديثه مع "**چيمس إدجارتون**" انطلق إلى عمارة "**أودلي**" حيث كانت تقيم السيدة "**فانديمير**"، فوجد عامل المصعد "**ألبرت**" منهمكًا في أعماله، فقال له:

– ألا يمكنك أن تنتحل عذرًا ليمنحوك عطلة بضعة أيام؟

فابتسم "**ألبرت**" وقال:

– اختراع الأعذار ليس بالأمر العسير.

وانتحل "**ألبرت**" العذر، وأعفي من عمله. وقال "**ألبرت**" يسأله:

– وكيف حال الآنسة.. الشرطية السرية؟

فاجابه "**تومي**":

– لقد اختطفوها.

– يا إلهي! أرجو ألا يكونوا قد قتلوها.

– مازلت آمل أن تكون على قيد الحياة.

ومضيا معًا إلى "**شيرنج كروس**"، واستقلا القطار إلى بلدة "**جيت استون**"، وهناك نزلا في أحد فنادقها، وعهد "**تومي**" إلى "**ألبرت**" بأن يقوم ببعض التحريات، فما لبث أن عاد إليه بالمعلومات التي يحتاج إليها. قال له إن ڤيللا "**آستلي**" ملك لطبيب متقاعد يدعى الدكتور "**آدمز**"، وهو رجل محبوب في القرية، حسن السمعة، ومنذ عشر سنوات وهو مقيم في هذه الدار، ويتردد على زيارته الكثيرون من أهل "**لندن**". وحيرت هذه المعلومات "**تومي**"، فهل يمكن أن يكون هذا الطبيب المحبوب الأمين أداة طيعة في أيدي هؤلاء المجرمين العتاة؟ والمرضى الذين يترددون عليه؟ أيمكن أن تكون "**كواتسو**" إحداهم؟ وهل "**آنيت**" من بينهم؟ كانت الڤيللا تقوم في وسط حديقة كبيرة مترامية الأطراف، ويدور بها سور مرتفع يحجب ما يجري بداخلها عن الأنظار. وفي تلك الليلة صحب "**تومي**" حليفه الجديد "**ألبرت**"، وطافا حول الحديقة يستطلعان المكان، وكان "**تومي**" لا يفتأ يسائل نفسه عما إذا كان هناك كلب حراسة يرد الفضوليين، وتجاسر وتسلل مع صاحبه الفتى إلى داخل الحديقة، وظلا يتقدمان خطوة بعد خطوة، في حرص وحذر، حتى بلغا المبنى نفسه، ووقفا تحت إحدى النوافذ ينصتان. كانت النافذة مفتوحة على مصراعيها والغرفة مضاءة، فاختلسا إليها النظر خفية، فإذا بنفر من الرجال منتظمين حول منضدة كبيرة، منهمكين في الحديث في حماس وانفعال. ولكنهم كانوا يتحدثون عن الجولف!

واستبدت الهواجس بـ"**تومي**"، وذهبت به الظنون كل مذهب: أمن المعقول أن يجتمع هؤلاء هنا لكي يتحدثوا عن الجولف؟ ترى، ما الذي يبطنون؟ وفي صباح اليوم التالي عهد "**تومي**" إلى "**ألبرت**" بأن يوالي البحث والتحري، فمضى يجوس خلال القرية، يختلط بالناس ويستفسر، ثم رجع إلى صاحبه بالمزيد من المعلومات:

– نعم.. هناك فتاة فرنسية تقيم في الڤيللا، وقد عرف هذا من متعهد توريد

الألبان.

ولم يعد لديه شك بعد هذا في أن هذه الڤيللا هي مقر العصابة الخفية التي يرأسها ذلك الغامض السيد "**براون**". إذن فقد حانت ساعة العمل.

لم يبق إلا يومان على يوم 29 عندئذ تحل الساعة القاضية، ويعلن الإضراب الشامل في البلاد، ويقوم شغب تواجهه الحكومة بما تحت يدها من قوات الشرطة والجيش، فتكون ثورة تجتاح البلاد وتعم الفوضى، وتسقط الوزارة. وللمرة الثانية تسلل "**تومي**" إلى حديقة الڤيللا في المساء، وحين دنا من المبنى متلصصاً تجمدت خطاه، وحملق مذهولا إلى نافذة في الطابق الثاني. اقترب من النافذة شبح ينظر إلى الخارج، وعرف "**تومي**" الشبح على الفور. إنها "**كواتسو**" دون شك! ولمس ذراع "**ألبرت**" وهمس في خفوت:

– انظر.. ها هي ذي "**كواتسو**".. ابق هنا وكن حذراً، بينما أبعث إليها بإشارة.

ورجع إلى ممشى بالقرب من مدخل الحديقة ومضى يسير مترنحاً، وأخذ يجهر بصوت عال مردداً الأغنيات، متظاهراً بأنه ثمل. وكانت هذه هي الأغنية التي أخذ يرددها:

انظري.. انظري إلى الزي والبدلة.
جندي شجاع لا أعرف المذلة.
لأنني جندي إنجليزي

وراح يردد الأغنية مرة بعد مرة، ويكرر ويعيد. وانتبهت "**كواتسو**" في وقفتها، وتوترت عضلاتها، كانت هذه هي الأغنية التي اعتاد "**تومي**" أن يتغنى بها في سهراتهما المرحة الضاحكة. وبرز من البيت رجلان في ثياب الخدم، واتجها إلى مكان "**تومي**" بالقرب من مدخل الحديقة وهو يغني ويترنح متظاهراً بالسكر. وأخذ الرجلان كل بإحدى ذراعيه، وحملاه إلى خارج الحديقة وهو ما زال يجأر بالأنشودة. وأجلساه على الإفريز الخارجي وهما يهتفان به:

– ابتعد عن هذا المكان يا رجل بصوتك الأجش الكريه، وإلا كتمنا صوتك في حلقك.

وابتعد "**تومي**" وهو يتطوح وقدماه تخذلانه ولا تقويان على حمله، ولكنه توقف عند الناصية مترقبًا حليفه "**ألبرت**".

وخف إليه "**ألبرت**" بعد قليل، وقال له:

– لقد رأتني من النافذة يا سيدي. وأشارت إليّ بأن أنتظر لحظة، ثم قذفت إليّ بهذه الرقعة.

وناوله قصاصة الورق مكورة، ولم يكن مسطوراً عليها إلا ثلاث كلمات: «غداً الموعد نفسه». وفي تلك الليلة غرق "**تومي**" في نوم سعيد تغشاه أحلام هانئة. بيد أنه لم يهنأ بالنوم طويلا. فعند منتصف الليل أيقظه أحد الخدم من نوم عميق وهو يقول:

– بالباب يا سيدي رجل يلح في مقابلتك في الحال إلحاحًا شديداً.

كان الرجل زري الهيئة، يعلو الغبار ثيابه.

وقال الرجل:

– لقد وجدت هذا الخطاب يا سيدي بالقرب من ڤيللا "**آستلي**".. ملقى على الأرض بجانب السور.

وتناول منه "**تومي**" الخطاب، وكان مكتوبًا على الظرف بخط "**كواتسو**":

«سلم هذا الخطاب إلى السيد الذي نزل بالأمس في فندق القرية. إنه يدعى "**تومي**"، وإن كان محتملا أنه اتخذ لنفسه اسمًا مستعاراً. وسيكافئك بسخاء».

وسأله الرجل:

– هل أنت من تدعى "**تومي**"؟

وأومأ "**تومي**" إيجابًا، فاستطرد الرجل:

– إذن فالخطاب لك، فأين المكافأة؟

ومنحه "**تومي**" جنيهًا. وكان هذا هو نص الخطاب:

«عزيزي "**تومي**".. لقد عرفت أنك الذي كنت تغني ليلة الأمس تحت النافذة.. لا تحضر اليوم، فقد تقرر أن نسافر هذا الصباح، وتناهى إليّ أننا مسافرون إلى "**هولي هيد**".. سأرمي هذا الخطاب في الطريق عند السور فور خروجنا– إن تسنى

لي هذا، فأرجو أن يقع في يد بعضهم فيمضي به إليك.. لقد روت لي "**آنيت**" كيف ساعدتك على الهرب.. "**كواتسو**"».

وصرخ "**تومي**" ينادي "**ألبرت**":

– "**ألبرت**".. جهز الحقائب حالا.

– هل سنسافر؟

– نعم.. إلى "**هولي هيد**".. وفي الحال.

- 24 -

في فندق "**كلاريدج**" كان السيد "**كارامين**" جالسًا إلى مكتبه يسطر بعض الخطابات. وجاء خادم يخطره بأن رجلا يلح في مقابلته يدعى "**جوليوس هير شايمر**". ودخل "**جوليوس**"، وابتدره "**كارامين**" بقوله:

– والآن.. ما الذي تريده مني يا سيد "**هير شايمر**"؟

وابتسم الأمريكي، وأجاب في رقة ودعة:

– لا أريد إلا شيئًا واحدًا يا سيد "**كارامين**".. ذلك هو أن ترفع ذراعيك إلى أعلى.. إلى ما فوق رأسك.

وتطلع إليه "**كارامين**" في دهشة، ورأى في يد الزائر الغريب المسدس المصوب إليه.

واتسعت عيناه دهشة، وقال:

– ما معنى هذا؟ أتريد أن تقتلني؟

– كلا طبعًا.. إلا إذا صرخت مستنجدًا.

– هل أنت مجنون؟ هل بك مس من الخبل؟ ولكن ما تبغي؟ أتريد مالا؟

– كلا.. أريد "**جين فين**".

– ومن تكون "**جين فين**" هذه؟

– دعك من الكذب، فإنك تعرف ما أعني؟ ولعلك تعرف أيضًا أن مسدسي

العزيز تواق إلى أن يطلق رصاصة تستقر في قلبك.

– حقًّا؟

– أتريد أن تخاطر وتجرب؟

واستشف "**كارامين**" من نظرات "**جوليوس**" المتقدة أنه إزاء رجل مخبول لا يتردد في أن يقتل. واستطرد "**هير شايمر**":

– قل لي في الحال أين "**جين فين**"؟!

– لا أستطيع..! هذا مستحيل..! إني خائف.

وقال "**جوليوس**":

– أأنت جبان إلى هذا الحد؟ أتخاف من اسم يتردد على الشفاه؟

– ولكني رأيته.. وقابلته.. وإن كان قد أخفى وجهه وراء قناع لم أتبين معه ملامحه.. إنه رجل جبار رهيب. سيقتلني لو عرف.. دون رحمة.

– وهذه الرصاصة؟ أليست هي الأخرى مخيفة رهيبة؟ إنها أيضًا تستطيع أن تقتل دون رحمة.

ووضع "**جوليوس**" يده على الزناد متأهبًا لإطلاق الرصاص. وقال "**كارامين**" متشبثًا بآخر أمل لديه:

– وهل نسيت أنهم سيهرعون على دوي الرصاص، ويقبضون عليك ثم تعدم شنقًا؟

فضحك "**هير شايمر**"، وقال في استخفاف:

– أعلم أنهم سيقبضون عليّ، ولكني لن أعدم.. يبدو يا عزيزي "**كارامين**" انك لا تعرف شيئًا عن تأثير الدولار، إني رجل من أصحاب الملايين في "**أمريكا**"، وبدولاراتي سأجند أشهر المحامين.. سيشهد الأطباء بأني مجنون غير مسؤول عن تصرفاتي، وسيدافع عني المحامون أحسن دفاع، وتصدر المحكمة قرارها بإيداعي إحدى المصحات العقلية، وبعد ثلاثة شهور، أو أربعة يقرر الطبيب أني شفيت، وتأمر المحكمة بإطلاق سراحي.

ثم أردف "**جوليوس**":

– والآن دعنا من هذا الحوار الذي لا يجدي. سأعد من واحد إلى أربعة، وبعدها أطلق الرصاص.

وارتعد "**كارامين**"، وشحب وجهه حتى حاكى وجوه الأموات. وقبل أن تنفرج شفتا "**جوليوس**" عن لفظ «أربعة» كان "**كارامين**" قد صرخ:

– سأتكلم..! سأتكلم..!

– أين "**جين فين**"..؟

– في ڤيللا "**آستلي**".. في "**جيت استون**" في مقاطعة "**كينت**"..

– أهي سجينة؟

– كلا، وإن كان لا يؤذن لها بمغادرة البيت.. إنها فاقدة الذاكرة.

– و"**كواتسو**"؟

– معها في الڤيللا نفسها.

– رائع جدًا. هذا يوفر عليّ مئونة القيام برحلتين. والآن هيا بنا. فقد آن لنا أن نسافر.

– ولكن إلى أين؟

– إلى ڤيللا "**آستلي**" بالطبع..

فصاح "**كارامين**":

– ولكني لن أسافر.. إني أرفض.

– ألعلك تريد من مسدسي أن يتولى إقناعك؟ إني لا أستطيع أن أتركك ورائي؛ لتبادر إلى الاتصال بشركائك تليفونيًا، وتحذرهم من قدومي.

واستطرد "**جوليوس**":

– والآن هيا البس معطفك وعجل واعلم أني سأسير بجانبك ومسدسي في جيب معطفي وإصبعي فوق الزناد. فإذا حاولت أن تستنجد، أو تهرب أرديتك قتيلا في الحال..

وبعد دقائق معدودات كان الرجلان قد اجتازا بهو الفندق، و"**كارامين**" كان مذعنًا لائذًا بالصمت. واستقلا سيارة "**جوليوس**" "**الرولز رويس**"، وقال "**هير**

شايمر " يخاطب سائقه:

- "**چورچ**" .. اذهب بنا إلى حيث "**استون**" في "**كينت**" بأقصى سرعة ممكنة واكسر جميع الإشارات، ولا تبال برجال الشرطة.

وأجاب "**چورچ**" :

- سنكون هناك بعد ساعة واحدة يا سيدي بدلا من الساعة ونصف الساعة.

- حسنًا.. هيا انطلق إذن.

وأخيرًا بلغوا نهاية الرحلة، وتوقفت بهم السيارة أمام باب الڤيللا، ونزل الرجلان من السيارة: "**جوليوس**" ورهينته. وقال "**جوليوس**" يخاطب سائقه:

- ابق المحرك دائرًا يا "**چورچ**" ؛ حتى تبادر إلى الانطلاق بأقصى سرعة عند إشارة مني.

ثم التفت إلى "**كارامين**" قائلا:

- والآن اضغط الجرس، وإياك أن تحاول خداعي، فإن مسدسي لك بالمرصاد، واطلب ممن يفتحَ الباب أن يستدعي الفتاتين في الحال : "**جين فين**" و"**كواتسو**" .

- ولكنهم لن يصدقوني.. سيدركون أني خائن.

- انتحل أي عذر مناسب.

- والسيد "**براون**" ؟ إنه سيقتلني.

- وأنا أيضًا سأقتلك.. السيد "**براون**" قد يقتلك، وقد لا يفعل، فإنك تستطيع أن تهرب في الحال إلى خارج البلاد.

وكان "**هوايتنج**" هو الذي فتح الباب بنفسه. وهتف به "**كارامين**" في لهفة:

- هيا احضر الفتاتين في الحال، وأسرع بالله عليك.

- ولكن لماذا؟ ما السبب ؟

- لقد اكتشف البوليس أنهما مقيمتان هنا.

- وهل أمر السيد "**براون**" بهذا؟

- وهل كنت أجرؤ على أن أطلب هذا لولا أنه هو الذي أمرني؟

وتردد "**هوايتنج**" برهة، واستحثه "**كارامين**" ، فدلف إلى الداخل، ثم عاد

بعد لحظات وفي صحبته الفتاتان. ودفع "**جوليوس**" الفتاتين إلى داخل السيارة، وتراجع إلى الوراء، وقفز إلى السيارة وهو يدفع "**كارامين**" أمامه إلى داخلها.

وعندئذ صرخ "**كارامين**" :

- أطلقوا النار! أطلقوا النار..! هذا الرجل من أعدائنا وقد اختطف الفتاتين.

وهرع الخدم من الداخل، وشهر "**هوايتنج**" مسدسه وبدأت الرصاصات تنهال تباعًا ومسدس "**جوليوس**" يرد عليها- وذلك في اللحظة التي مرقت فيها السيارة من بوابة الحديقة طائرة إلى الطريق العام. وقالت "**كواتسو**" متسائلة:

- ولكن أين "**تومي**" ؟

فأجاب:

- لقد اعتقد أنك قتلت، فسافر إلى "**الأرجنتين**" والآن اسمحي لي يا "**كواتسو**" أن أقدم إليك صديقنا العزيز السيد "**كارامين**" .. إنه هو الذي أرشدني إلى مخبئك تحت تهديد المسدس طبعًا.

والتفت "**جوليوس**" إلى سائقه قائلا:

- انحرف إلى أحد الطرقات الجانبية؛ حتى لا يلحقوا بنا.

قال "**كارامين**" :

- إني لن أستطيع الآن أن أبقى لحظة واحدة في "**إنجلترا**" ، فإنهم سيتعقبونني ويقتلونني وقد عرفوا أني خنتهم وغدرت بهم.. أرجوك أن تنزلني من السيارة.

فقال "**جوليوس**" :

- تريد أن تنزل هنا في هذا المكان غير المطروق! إنك لن تجد سيارة تنقلك إلى "**لندن**" .. فور أن نصل "**لندن**" سأسمح لك بالنزول.

وقبل أن يفرغ "**جوليوس**" من عبارته كانت السيارة قد بلغت مفارق الطرق، فتوقفت عند إشارة المرور الحمراء، فإذا بـ"**كارامين**" يفتح الباب ويقفز إلى الطريق هاربًا.

وقبل أن تتغير إشارة المرور إلى اللون الأخضر، إذا بوجه يطل عليهم من خلال نافذة السيارة.

وهتف "**جوليوس**" في ذهول:

- يا إلهي! "**تومي**"! كيف جئت؟ لقد حسبتك في "**الأرجنتين**"؟

وفتح له باب السيارة فدخل إليها، وامتدت يده تصافح "**كواتسو**" في حرارة ولهفة. ثم أجاب:

- لقد كنت مختفيًا في حديقة الفيللا وراء الأشجار أتحين فرصة لدخولها، فلما رأيت سيارتك تسللت خفية وتعلقت بالحقيبة الخلفية مترقبًا ما سوف يحدث.

وقال "**جوليوس**" فجأة:

- انظروا.. هذه سيارتهم دون شك. لقد لاحظت أنها تقتفي أثرنا منذ فترة، فكلما انحرفنا في طريق جانبي، انحرفت وراءنا.

فقال "**تومي**":

- والآن ما العمل؟ إنهم قد يلحقون بنا ويستعيدون الفتاتين.

واستطرد "**تومي**":

- عندما نبلغ إشارة المرور التالية عند منعطف الطريق، وتتوقف السيارة انزلي منها يا "**كواتسو**" ومعك "**جين فين**" فإنهم لن يلحظوا أنكما نزلتما من السيارة، ثم اذهبا على الفور إلى بيت السيد "**چيمس إدجارتون**".. هناك ستكونان في أمان.

وصاح "**جوليوس**" معترضًا:

- كلا.. كلا.. لا تفعلا هذا.

وفجأة أخرج "**تومي**" مسدسه وصوبه إلى "**جوليوس**" وهو يهتف بالفتاتين:

- هيا انزلا، وأسرعا.

ونزلت الفتاتان مسرعتين، ودارتا حول الناصية؛ حتى لا يشاهدهما المطاردون.

وأعاد "**تومي**" مسدسه إلى جيبه، وتابعت السيارة طريقها.

وصاح "**جوليوس**" :

– ما هذا الذي فعلت يا "**تومي**" ؟ كيف تصوب إليّ مسدسك؟ لابد أنك جننت!

ولم يجب "**تومي**" كأنما لم يسمع هذا العتاب.

- 25 -

استقلت الفتاتان القطار راجعتين إلى "**لندن**"، وطوال الطريق كانت "**كواتسو**" ترتعد رعبًا كلما رأت أحدًا يتمشى في دهليز القطار، أو يطل على مقصورتها. وأخيرًا انتهيتا إلى بيت السيد "**جيمس إدجارتون**"، حيث سكنت مخاوفها وتبددت هواجسها. وتلقى المحامي الكبير الفتاتين مرحبًا، وقال يخاطب "**كواتسو**" :

– إذن، فلم لم تقتلك العصابة يا آنسة "**كواتسو**"؟ لا أنت ولا صديقك "**تومي**"؟

ثم تحول إلى الفتاة الأخرى، وقال متسائلا:

– ومن تكون صاحبتك هذه؟ أهي الآنسة "**جين فين**"؟

وأومأت "**جين فين**" برأسها وهي تقول:

– نعم.. إني "**جين فين**".. أتحب أن تستمع إلى قصتي؟

فأجاب المحامي الشهير:

– لك هذا إن شئت.

وأنشأت "**جين فين**" تروي قصتها. قالت إنها لا أهل لها، وإنها جاءت إلى "**إنجلترا**" من "**أمريكا**" على ظهر الباخرة "**الباسيفيك**" سعيًا وراء العمل، إذ عينت مدرسة في إحدى المدارس الداخلية في "**باريس**". وإنه عند غرق الباخرة وإنزال قوارب النجاة، اقترب منها رجل لا تعرفه. وعهد إليها بلفافة صغيرة، وطلب إليها أن تخفيها وتحرص عليها. ومتى وصلت إلى "**إنجلترا**" فعليها أن تقرأ

الإعلانات المبوبة في صحيفة "**التايمز**"، فإن لم تجد فيها إعلانًا يتضمن كلمات معينة، فيجب أن تمضي بالوثيقة السرية إلى السفير الأمريكي، وأن تسلمها إليه يداً بيد. واستطردت "**جين فين**" تقول:

– ولكن الذي حدث بعد هذا كان كابوسًا مزعجًا مخيفًا.. كانت معي في مقصورة القطار الذي أقلني إلى "**لندن**" سيدة من الناجيات من الغرق يصحبها رجل لم ألمحه من قبل بين ركاب "**الباسيفيك**"، وقدمت إليّ نفسها باسم السيدة "**فانديمير**" وأخذت تقترب مني أثناء الرحلة محاولة أن تعقد معي أواصر الصداقة، فتوجست خيفة منها، وخطر لي أنها تبغي أن تسرق الوثيقة السرية، فما كان مني إلا أن ذهبت إلى دورة المياه، وفضضت اللفافة التي عهد بها إليّ السيد "**دانفيرس**" وأخرجت منها الوثيقة، وكانت عبارة عن ثلاث صفحات من الورق الشفاف مكتوبة بخط دقيق. وكانت معي مجلة، فطويت الأوراق الثلاث الرفيعة، ودسستها بين صفحتين من صفحات المجلة، وألصقت حوافهما الخارجية بمادة لاصقة، ثم وضعت داخل اللفافة ورقة بيضاء بدلا من الوثيقة السرية، وأعدتها سليمة كما كانت، ثم رجعت إلى مقصورتي في القطار والمجلة المصورة في جيب معطفي، وأنا مطمئنة البال، فإذا كانت السيدة "**فانديمير**" جاسوسة واستطاعت أن تستولي على اللفافة المخبأة في حقيبة يدي، فإنها لن تجد فيها إلا ورقة بيضاء لا قيمة لها. ومضت "**جين فين**" في حديثها قائلة:

– وحين عدت إلى المقصورة أطبقت عيني وتظاهرت بأني نائمة، ولكني كنت أختلس النظر في نصف إغماضة إلى السيدة "**فانديمير**" وصاحبها. ورأيت الرجل يخرج شيئًا من جيبه لم أتبينه، ثم يتطلع إلى صديقته ويغمز لها بعينه، وسمعتها تهمس له: «هيا بنا»... وانقضت السيدة "**فانديمير**" عليّ ووضعت فوق أنفي منديلا مبللا بسائل مخدر، أما الرجل فعاجلني بضربة على رأسي، فغبت عن صوابي.

وتفوه السيد "**چيمس**" ببضع كلمات مشفقة عطوف. ومضت "**جين فين**" في رواية قصتها. قالت:

– ولست أدري كم مضى عليّ من الوقت حتى استفقت من إغمائي، فألفيتني راقدة على سرير قذر، وأنا على حال من الصداع يكاد رأسي معه أن يتفتت. وكان هناك حاجز قائم أمام السرير، ومن وراء «البارفان» جاءني صوت السيدة "**فانديمير**" وهي تتبادل الحديث مع شخص آخر، ولم أفقه ما يقولان في بداية الأمر؛ لفرط ما كان يعتري ذهني من اضطراب بسبب الضربة التي تلقيتها فوق رأسي، فلما تمالكت نفسي أدركت أنهم قصوا اللفافة فلم يعثروا فيها على الوثيقة السرية، ولم يجدوا إلا الورقة البيضاء، فاستبد بهم الغضب، ولم يخطر ببالهم أني أنا التي قمت بهذا الإبدال، وظنوا أن السيد "**دانفيرس**" هو الذي فعل هذا تحوطًا وحذرًا حتى يخدع مطارديه من الجواسيس، بينما بعث بالوثيقة ذاتها إلى أصحاب الشأن بطريقة ما. وقد فهمت من حديثهما أنهما ينويان تعذيبي حتى أدلي بما لدي من معلومات.

واستولى عليّ الرعب حتى لقد خيل إليّ أن دقات قلبي تعالت، وملأت الغرفة ضجة وصخبًا. وتابعت "**جين فين**" الحديث بقولها:

– استبد بي الفزع خوفًا من التعذيب، وجعلت أفكر فيما ينبغي أن أفعل، وهل يمكن أن أتسلل هاربة، وعندئذ خطرت لي فكرة.. لماذا لا أتظاهر بأني فقدت ذاكرتي؟ واستعدت إلى ذهني ما سبق أن قرأته عن فقدان الذاكرة وأعراضها، واستقر رأيي على أن أقوم بتمثيل هذا الدور، فإذا وفقت في أدائه وجازت عليهم الخدعة أكون قد نجوت من التعذيب الذي ينتظرني.

وبدأت بأن تعمدت أن أنظر حولي نظرة بلهاء شاردة، وجعلت أتفوه ببعض الكلمات الفرنسية؛ لأوقع في روعهم أني نسيت لغتي الإنجليزية. ومضت تقول:

– وحين سمعت السيدة "**فانديمير**" صوتي وعرفت أني أفقت من إغمائي، جاءت إليّ وشرر الغضب يتطاير من عينيها، وقالت للرجل الذي كان متواريًا وراء الحاجز إني أفقت.. وشرعت في تمثيل دور فاقدة الذاكرة، فجعلت أتساءل: أين أنا، وما الذي جاء بي إلى ذلك المكان، وسألتني السيدة "**فانديمير**" عن اسمي، فأجبتها بأني لا أعرفه، ولا أذكر شيئًا على الإطلاق.

واستطردت "**جين فين**":

– وأمسكت السيدة "**فانديمير**" برسغي ولوت ذراعي بكل قوتها، فشعرت بأن عظامي تكاد تتهشم، وانتابني ألم شديد، فصرخت متوجعة، ولكني تماسكت وصمدت، إلى أن خارت قواي وكدت أعترف بأني لم أفقد ذاكرتي، ولكن الأقدار كانت بي رحيمة فاغمي عليّ وكان آخر شيء سمعته قبل أن أفقد الوعي هو صوت الرجل المستتر وراء الحاجز وهو يقول:

« ما أحسبها تحاول أن تخدعنا، ومن كانت في مثل سنها لا يمكن أن تفكر في مثل هذه الخدعة ». وأتمت "**جين فين**" قصتها بأن قالت:

– يبدو أن الرجل أمر السيدة "**فانديمير**" بأن تكف عن تعذيبي، فعندما أفقت من إغمائي أقبلت عليّ تبدي عطفًا ورقة، وأحسنت معاملتي، وقالت لي بالفرنسية طبعاً: إني أصبت بصدمة عصبية، وإنها ستعرضني على طبيب يفحصني، ثم غادرت الغرفة، ونهضت من فراشي، وأخذت أتجول في المكان ألتمس وسيلة للهرب، فرأيت أن الجدران صماء ليست بها نافذة واحدة، وكانت على الجدران أربع لوحات تمثل بعض المشاهد المنقولة عن رواية "**فاوست**"، ودب اليأس في قلبي وعرفت ألا سبيل إلى الفرار.

واسترسلت تقول:

– ورأيت معطفي ملقيًا على الأريكة تطل عن جيبه المجلة المصورة التي سبق أن أخفيت الوثيقة السرية بين صفحاتها. وكان لابد أن أفعل شيئًا حيال هذه الوثيقة؛ إذ لم يكن مستبعداً أن يأخذ أحدهم المجلة ليتصفحها فيكتشف مخبأ الوثيقة بين الصفحتين الملصقتين.

ومضت "**جين فين**" تقول:

– وجلست على الفراش، وأخذت رأسي بين كفي، وجعلت أبكي وأنا أتوجع وأتأوه، وتلك بعض أعراض فقدان الذاكرة كما عرفت من الكتب التي قرأتها فيما مضى. وأسرعت السيدة "**فانديمير**" بدخول الغرفة مما أكد لي أنهم كانوا يراقبونني من ثقب خفي في الجدار. وأخذت السيدة "**فانديمير**" تتحدث إليّ في رقة،

وسألتني عما إذا كنت أعرفها، وقالت لي: إنها عمتي، وطلبت إليّ أن أناديها «بالعمة "**ريتا**"»، وأكدت لي أن ذاكرتي سوف تعود إليّ بعد أن أعالج.

واستطردت الفتاة: ولما هبط الليل أطفأت المصباح البترولي، وأويت إلى سريري، وحين هدأت الأصوات ونام الجميع، تسللت من الفراش وأخذت المجلة المصورة من جيب معطفي، وانتزعت الوثيقة السرية من بين الصفحتين الملصقتين، ثم تحسست الجدار، ونزعت اللوحة الأولى من لوحات "**فاوست**"، وهي الصورة التي تمثل "**مرجريت**" حاملة صندوق جواهرها، ورفعت الورقة الكرتون الموضوعة وراء الصورة، وأخفيت الوثيقة بين الصورة والكرتون، ثم أعدتها كما كانت، وأرجعتها إلى موضعها من الجدار. وسكتت "**جين فين**" هنيهة. ثم أردفت تقول:

– وبعد هذا نقلوني إلى مصحة الدكتور "**هول**"؛ ليتولى علاجي، ويبدو أنهم كانوا مترددين في أمر الوثيقة السرية، بعضهم يعتقد أن السيد "**دانفيرس**" بعث بها إلى أصحابها بطريقة ما قبل أن يستقل الباخرة "**الباسيفيك**"، وبعضهم يعتقد أنني أنا التي أودعتها مخبأ خفيًّا بعد نزولي من قارب النجاة، أو أثناء رحلتي إلى "**لندن**"، ولذلك آثروا أن يبقوا على حياتي، وأن يعالجوني، حتى إذا شفيت ورجعت إلى ذاكرتي تسنى لهم أن يرغموني على الإفضاء بمخبأ الوثيقة، ولهذا فرضوا عليّ رقابة شديدة في المصحة، فأقاموا بجانبي ممرضة من أعوانهم تلازمني طوال الوقت.

وندت عن صدر "**جين فين**" تنهدة عميقة، ومضت تقول:

– وهكذا تتابعت الأيام ثم الشهور، وأنا حبيسة المصحة أتظاهر بفقدان الذاكرة، وأتحين فرصة للهرب، ولكن على غير جدوى. وفي إحدى الليالي، وعلى حين بغتة، جاءوا إليّ وأمروني بارتداء ثيابي، وعادوا بي إلى ذلك البيت في حي "**سوهو**"، وعهدوا إليّ بالقيام بالأعمال المنزلية، وأن أتولى تقديم الطعام إلى رجل محبوس في الغرفة الصماء الخالية من النوافذ، وهي الغرفة نفسها التي سبق أن حبست فيها. وكان هذا السجين الجديد هو السيد "**توماس بريسفورد**".

وتابعت "**جين فين**" الحديث قائلة:

– وبعد ظهيرة أحد الأيام، وكان يوم أحد، سمعتهم يتحدثون عن أمر صدر إليهم بإعدام السيد "**بريسفورد**"، فقررت أن أنقذه قبل أن يبطشوا به، فعاونته على الهرب ولا داعي لأن أسرد عليكما التفاصيل فأنتما تعرفان ما حدث.

وإذ فرغت "**جين فين**" من قصتها قال السيد "**چيمس إدجارتون**":

– إذن فالوثيقة السرية ما زالت في مخبئها بين الصورة والغلاف الكرتون؟

وإذ ردت الفتاة إيجابًا تطلع السيد "**چيمس**" في ساعته وقال:

– إذن هيا بنا إلى ذلك البيت في حي "**سوهو**".

فقالت "**كواتسو**":

– أفي مثل هذه الساعة؟ ألا نرجئ الأمر إلى الغد؟

فأجابها السيد "**چيمس**" في اقتضاب ووجوم:

– غداً يكون الوقت قد فات! ثم إننا إن ذهبنا اليوم تتاح لنا الفرصة للقبض على هذا المجرم الخطير السيد "**براون**".

وساد الصمت برهة، ثم استطرد السيد "**چيمس إدجارتون**":

– لا شك في أن هناك من تعقبكم خفية عند حضوركم الآن إلى بيتي، وعند خروجنا سيقتفون أثرنا دون أن يتعرضوا لنا بالأذى؛ لأن خطة السيد "**براون**" هي أن يترك "**جين فين**" حرة طليقة، حتى ترشده إلى مكان الوثيقة... وبيت حي "**سوهو**" محاط برجال الشرطة يحرسونه، ومع ذلك فلن يصعب على السيد "**براون**" أن يدخله في أعقابنا دون أن يخاطر بنفسه؛ لأنه لن يدخله لا بصفته السيد "**براون**" وإنما بصفته صديقًا لمن يتعاونون معنا في مطاردة السيد "**براون**". نعم. إن السيد "**براون**" سيدخل بيت حي "**سوهو**" في أثرنا مستترًا وراء قناع أحد الأصدقاء.

واحمر وجه "**كواتسو**"، وقالت تخاطب "**جين فين**" وهي تتحاشى أن تنظر إليها:

– هناك شيء نعرفه نحن ولا تعرفينه أنت يا "**جين**".

فقال السيد "**چيمس**":

– بل يجب يا آنسة "**كواتسو**" ألا تكتمي عنها شيئًا.

– ولكنها لن تصفح عني أبداً.. إنك طبعًا تعرف من يكون السيد "**براون**" يا سيد "**چيمس**"؟

فقال في نبرة حزينة:

– طبعًا أعرف.. منذ قتلت السيدة "**فانديمير**" وأنا أعرف من يكون السيد "**براون**". إنها مسألة منطق بسيط، فليس هناك إلا تفسير واحد لمصرعها: فإما أن تكون هي التي تناولت المنوم بنفسها، وهذا أمر غير معقول، وعندئذ لا يبقى لدينا إلا التعليل الثاني.

فقالت "**كواتسو**" تستحثه:

– وما هذا التعليل الثاني؟

فاستطرد:

– إن المنوم دس لها في الشراب الذي تناولته ولم يقرب هذا الشراب إلا واحد من ثلاثة: أنت يا آنسة "**كواتسو**"، أو أنا، أو السيد "**هير شايمر**"، وطبعًا ليس من المستساغ أن نستريب في السيد "**شايمر**" وهو ذلك المليونير الأمريكي الفاحش الثراء– ولكن منطق الأحداث يقول غير هذا. عندما كنت أنت تتحدثين إلى السيدة "**فانديمير**" وتحاولين إغراءها لكي تفشي لك سر العصابة لقاء مائة ألف جنيه– أتذكرين الرعب الذي استولى عليها وكيف أغمي عليها فور أن رأت السيد "**هير شايمر**" فجأة في مدخل الغرفة؟ لقد استرابت في أمره منذ هذه اللحظة. وأيد شكوكي ما ذكره لي السيد "**بريسفورد**" أخيراً إذ اتصل بي تليفونيًا وأبلغني أنه عثر على صورة "**جين فين**" في درج السيد "**هير شايمر**"، فلماذا أخفاها عنا، وتركنا طوال الوقت نعتقد أن المرأة التي أصيبت في حادث السيارة والتقينا بها في المستشفى هي "**جين فين**"، بينما هو يعرف أنها امرأة كاذبة مدعية من أفراد العصابة؛ لأنه هو الوحيد الذي يعرف "**جين فين**" الحقيقية لأنه يحتفظ بصورها لديه؟

وصرخت "**جين فين**" تقاطعه، وهي تستمع إلى الحديث:

– ما هذا الهراء؟ أتريدون أن تقولوا إن ابن عمي "**جوليوس**" هو السيد "**براون**"؟

فأجابها السيد "**چيمس**" :

– كلا يا عزيزتي.. ابن عمك ليس هو السيد "**براون**"، فالرجل الذي تقدم إليك باسم "**هير شايمر**" لا يمت إليك بصلة القربى.. إنه مدع كاذب انتحل شخصية ابن عمك!

- 26 -

نزلت هذه الكلمات على الفتاتين نزول الصاعقة، فجعلتا تحملقان إلى السيد "**چيمس إدجارتون**" في دهشة وذهول. ومشى السيد "**چيمس**" إلى مكتبه، وتناول من أحد أدراجه قصاصة من صحيفة أمريكية وناولها إلى "**جين فين**" وهو يقول:

– لقد سبق أن بعثت إلى السيد "**كارتر**" بقصاصة مماثلة.. إنها عن رجل مجهول الشخصية وجد قتيلا في "**نيويورك**" منذ بضعة أسابيع، وطلبت إليه أن يتحرى عنه، كما قمت من جانبي ببعض التحريات، فعرفت أن اعتداء وقع على السيد "**هير شايمر**" ليلة سفره إلى "**أوربا**"، وأنه قتل وسرقت أوراقه الشخصية وما كان يحمل من نقود، كما شوه المعتدون وجهه؛ حتى لا يهتدي أحد إلى شخصيته الحقيقية، ولذلك كان من السهل على قاتله أن ينتحل شخصيته، خصوصًا أنه ليس في "**إنجلترا**" من سبق أن التقى بالسيد "**هير شايمر**". فإذا تقدم إلينا هذا المدعي المزيف منتحلا شخصية ابن عمك، فإن أحدًا منا لن يداخله الشك في أمره. وظل يخالطنا ويطلع على خططنا، ويشاركنا في البحث عن السيد "**براون**"– دون أن يخطر ببال أحد منا أنه هو نفسه السيد "**براون**"..!

واستطرد "**چيمس**" يقول:

– وحدث أن وقع السيد "**براون**" في غرام السيدة "**فانديمير**" فأفضى إليها بسره الخطير، وكشف لها عن شخصيته الحقيقية. فلما أغرت الآنسة "**كواتسو**" "**فانديمير**" بالمال ووعدتها بمائة ألف جنيه إن هي أفضت إليها باسم السيد "**براون**"

الحقيقي اضطر – إبقاء على سره – أن يقدم على خطوة حمقاء متسرعة، فدس لها المنوم في الشراب؛ حتى يتخلص منها قبل أن تشي به. فكانت هذه أول بادرة أثارت شكوكي في السيد "**هير شايمر**".

فقالت "**جين**":

– ولكن إذا كان "**هير شايمر**" هو نفسه السيد "**براون**" فلماذا ساعدنا على الهرب، وأنقذنا من بين براثن العصابة حين أرغم السيد "**كارامين**" على أن يصحبه إلى وكر العصابة تحت تهديد مسدسه؟

فأجاب السيد "**چيمس**":

– كان ذلك كله مجرد مشهد تمثيلي أراد من ورائه أن يعرف مخبأ الوثيقة السرية.. كان يعرف أنك بمجرد إطلاق سراحك ستذهبين فوراً إلى حيث أخفيت الوثيقة، وعندئذ يكون من السهل عليه أن يستولي عليها، ثم يقتلك و"**كواتسو**" بعد ذلك، ولكن "**تومي**" الذي كان يرتاب في أمره أفسد عليه تدبيره بأن أنزلكما من السيارة وطلب إليكما أن تلجآ إلى بيتي حيث تكونان في أمان. ولعلكما تذكران أن "**هير شايمر**" اعترض على هذا التصرف، ولكن "**تومي**" هدده بمسدسه، فاضطر إلى إيقاف السيارة وترككما تنزلان منها.

وأعقب هذا فترة غير قصيرة من السكوت، ثم نهض "**چيمس إدجارتون**" وتناول مسدساً من درج مكتبه دسه في جيبه وهو يقول:

– والآن هيا بنا إلى بيت حي "**سوهو**"؛ لنسترد الوثيقة السرية.

توقفت بهم السيارة أمام وكر العصابة، وكان رجال الشرطة يحرسونه من كل جانب. وتحدث السيد "**چيمس**" إلى الضابط المنوط بالحراسة، فأذن له بدخول البيت مع الفتاتين. ارتقوا الدرج مسرعين إلى الغرفة المعلقة بين الطابقين– تلك الغرفة الخالية من النوافذ. كانت اللوحة ما زالت في موضعها فوق الجدار. وتناولت "**جين فين**" اللوحة المنشودة، ورفعت الصورة قليلا، ودست أصابعها وراءها، وحين سحبتها كانت الوثيقة السرية في يدها. ومد السيد "**چيمس إدجارتون**" يده، وأخذ الوثيقة من يد "**جين فين**"، فألقى عليها نظرة عجلى، ثم قال:

– تمامًا.. هذه هي الوثيقة التي طال بحثنا عنها.

ودس الوثيقة في جيبه، ولكنه عندما أخرج يده من الجيب لم تكن فارغة خاوية. وإنما كان فيها مسدس صوبه إلى الفتاتين وهو يقول:

– والآن أحسب أنكما في لهفة إلى رؤية السيد "**براون**"؟ إذن فاعلما أنني أنا السيد "**براون**" الذي عنه تبحثون.

وارتسمت على شفتيه ابتسامة رهيبة واستطرد:

– والآن حانت منيتكما.. رصاصة واحدة في قلب كل منكما، وتموتان.. وبعدها أغادر البيت وحدي، وأنشر الوثيقة في طول البلاد وعرضها، ويعلن الإضراب، وتعم الفوضى، وتقوم الثورة.. وعندئذ يحل دوري فأتقدم إلى المسرح وأستولي على السلطة. وأطلق ضحكة رهيبة زلزلت أرجاء الغرفة.

ثم رفع يده وهو يقول:

– لقد انتهت مهمتكما، وشكرًا لكما.

ولكن قبل أن يتحرك إصبعه إلى الزناد برز "**تومي بريسفورد**" من ورائه فجأة، وعاجله بضربة أطاحت بالمسدس إلى الأرض. واستدار السيد "**چيمس**" مذعورًا، ورأى "**تومي**" منتصبًا أمامه والمسدس في يده. وكان نذيرًا بالموت والهلاك. وقال السيد "**چيمس**":

– أنت! أنت!

– نعم، أنا.. فقد كنت أرتاب فيك منذ فترة طويلة يا سيد "**براون**".

وضحك السيد "**چيمس**" في مرارة وقال:

– وأنا الذي ظننت أنني خدعت الجميع.

كان في أصبعه خاتم ذو فص كبير الحجم، ورفع إصبعه إلى شفتيه، وأزاح فص الخاتم، ولعق السم الذي كان يختزنه في تجويف الفص. وترنح السيد "**چيمس**"، وتخاذلت ركبتاه، ثم تهاوى إلى الأرض جثة هامدة.

وقال "**تومي**" في صوت شارد:

– هذه هي النهاية يا سيد "**براون**"! نهاية المطاف.

- 27 -

كانت مأدبة رائعة فاخرة تلك التي أقامها السيد "**هير شايمر**" في فندق "**ريتز**"، ودعا إليها جميع من اشتركوا في هذه الأحداث. وإذ فرغوا من العشاء اجتمعوا في قاعة الاستقبال، وأخذوا يستعيدون ذكريات تلك الأيام العصيبة التي عصفت بهم. وقال السيد "**هير شايمر**":

- منذ اللحظة الأولى شعرت بكراهية نحو هذا الرجل السيد "**چيمس إدجارتون**"، وكانت الشكوك تراودني في أمره في بعض الأحيان، ثم أعود فأخطئ نفسي معتقداً أنني أتجنى عليه بريبتي. أما "**تومي**" فكان فيما يبدو على يقين بأنه السيد "**براون**".

وقالت "**كواتسو**":

- أما أنا فكنت أثق به ثقة عمياء.

وانبرى السيد "**كارتر**" يقول:

- والآن هل لك يا "**تومي**" أن تروي لنا كيف ارتبت في أمره؟

وأنشأ "**تومي بريسفورد**" يسرد القصة قائلا:

- عندما قتلت السيدة "**فانديمير**" بالسم الذي تناولته مخلوطًا بالشراب لم يداخلني شك في أن القاتل لابد أن يكون واحداً من اثنين: السيد "**جوليوس هير شايمر**"، أو السيد "**چيمس إدجارتون**". وبعد ذلك عثرت على صورة "**جين فين**" في درج "**هير شايمر**"، فاتجهت شكوكي إليه، ولكني ما لبثت أن تذكرت أن السيد "**چيمس**" هو الذي اكتشف مقر "**جين فين**" المزيفة، وأنه هو الذي قدمها إلينا، فحرت بين الاثنين، وجعلت أسائل نفسي عمن يكون السيد "**براون**" هذا أم ذاك..؟ السيد "**چيمس**" أم السيد "**هير شايمر**"؟ واستطرد "**تومي**" يقول:

- واستقر رأيي على خطة معينة تتكشف لي بها الحقيقة. بعثت إلى السيد "**هير شايمر**" بخطاب أخطره فيه بأنني راحل إلى "**الأرجنتين**"، وأطلعته على خطاب السيد "**چيمس**" الذي وعدني فيه بأن يلحقني بعمل في تلك البلاد، حتى

يطمئن إلى أنني مسافر حقًا إلى "**الأرجنتين**". ثم اتصلت بالسيد "**كارتر**" وأفضيت إليه بشكوكي وكذلك تحدثت في الأمر تليفونيًا إلى السيد "**چيمس**"؛ لأبث في نفسه الاعتقاد بأنني أثق به وأطمئن إليه، ولكن حدث بعد ذلك أن أنقذ السيد "**هير شاير**" الفتاتين "**جين فين**" و"**كواتسو**" من وكر العصابة، فاهتزت ريبتي فيه، واستبعدت أن يكون هو السيد "**براون**". وهكذا لبثت مزعزع اليقين، لا أدري أيهما هو السيد "**براون**" الحقيقي. وعندئذ تلقيت رسالة من "**كواتسو**"، وتبينت على الفور أن الرسالة مزورة وأن الخط مقلد تقليداً متقنًا.

فسألته "**كواتسو**":

– ولكن كيف عرفت أنها رسالة مزورة؟

فأجاب "**تومي**":

– كان الخط متقن التقليد فلم أشك فيه، ولكني ارتبت في التوقيع.

فتساءل السيد "**كارتر**":

– أكان التقليد غير متقن؟

– كلا.. ولكن "**كواتسو**" اعتادت حين تكتب إليّ أن تذيل خطاباتها بكلمة «**كوات**» بدلا من "**كواتسو**"، وعند هذا ساءلت نفسي: الذي زور الخطاب الذي جاءني لا يعرف شيئًا عن طريقة "**كواتسو**" في توقيع رسائلها إليّ. وتذكرت أنني أطلعت السيد "**هير شاير**" على أحد خطابات "**كواتسو**" فاستبعدت أن يقع في مثل هذه الغلطة. أما السيد "**چيمس**" فلم ير أي خطاب من خطاباتها، فلابد أن يكون هو الذي زور هذه الرسالة، إذن فالسيد "**چيمس**" لابد أن يكون هو السيد "**براون**".

واستطرد "**تومي**" قائلا:

– واستقر رأيي على أن أنصب كمينًا للسيد "**چيمس**"؛ حتى أضبطه متلبسًا. فعندما أنقذ "**هير شاير**" الفتاتين وأخذهما في سيارته، طلبت إليهما أن ينزلا من السيارة وأن تلجآ إلى بيت السيد "**چيمس**"، وقررت أن أراقب البيت ليل نهار؛ حتى أعرف ما سوف يحدث.

وتابع "تومي" الحديث بقوله:

- وكنت طبعًا أتوقع أن يأخذ السيد "**چيمس**" الفتاتين إلى بيت حي "**سوهو**" ليستولي على الوثيقة السرية، ولهذا كمنت في وكر العصابة مترقبًا حضوره. وفعلا ما لبث أن جاء ومعه الفتاتان، ثم كان ما كان من استيلائه على الوثيقة ومحاولته قتل الفتاتين، فبرزت إليه من مكمني، وأطحت المسدس من يده، فما كان منه وقد أدرك مغبة فعله إلا أنه تناول السم وانتحر، فكانت هذه هي نهاية المطاف. وانبرى السيد "**جوليوس هير شايمر**" يقول:

- كلا أيها السادة.. ليست هذه هي نهاية المطاف فما زالت للقصة بقية.

فقال "**تومي**" في دهشة:

- للقصة بقية؟ وما هي يا ترى؟

فأجاب "**هير شايمر**":

- بقية القصة هي أنني سأتزوج ابنة عمتي "**جين فين**".

وهتف "**تومي**" قائلا:

- وثمة بقية أخرى هي أنني سأتزوج "**كواتسو**" صديقة الطفولة وحبيبة العمر.

وبين القبلات المتبادلة شرب الجميع نخب السعادة المأمولة.

تمّت بعون الله

هذه فرصتك .. أرسل طلبك اليوم .. !

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

1	ابنة الفراعنة	23	جريمة على ضفاف النيل
2	جريمة الفندق	24	الجرائم الثلاث
3	أخطاء القضاء	25	جريمة في بيت الطالبات
4	أدلة الجريمة	26	جريمة في الجو
5	الإرث الدامي	27	جريمة في الصحراء
6	أصابع الاتهام	28	جريمة في قطار الشرق
7	امرأة خطرة	29	جريمة قتل
8	بيت الأحلام	30	الجريمة الكاملة
9	بواعث الجريمة	31	امرأة في مأزق
10	بيت الأهوال	32	الجريمة المستحيلة
11	التضحية الكبرى	33	الجريمة المعقَّدة
12	الضحية	34	الشاهدة الوحيدة
13	الجثة التي اختفت	35	جزيرة الموت
14	الجثة الثانية	36	جنون الانتقام
15	جثة في المكتبة	37	الحادث
16	الجريمة الأخيرة	38	الحب الذي قتل
17	جريمة أم	39	الرجل الرابع
18	جريمة فنية	40	ذات القناع الأسود
19	جريمة بلا شهود	41	ذات الوجهين
20	الجريمة تدق الباب	42	رجل بلا وجه
21	اللغز المثير	43	غانية باريس
22	جريمة عائلية	44	رصاصة في الرأس

45 رعب في المدينة
46 الزائر الغامض
47 ساعة الصفر
48 السر الرهيب
49 ساحر النساء
50 سر القصر الكبير
51 سر المنبِّهات السبعة
52 سيدة القصر
53 شاهد للتحقيق
54 الشاهد الصامت
55 نقطة الدم
56 الشبح القاتل
57 شرخ في المرآة
58 الشيطان امرأة
59 إخناتون
60 الطائر الجريح
61 الطائرة المفقودة
62 الطيور السوداء
63 عدو بلا وجه
64 العميل السّري
65 العنكبوت
66 الفخ
67 القاتل الرابع
68 القاتل الغامض
69 القاتل والمقتول
70 قاتل المليونير
71 القصاص
72 القصر الرهيب
73 القضية الكبرى
74 الكأس الأخيرة
75 كلب الموت
76 ليل ليس له آخر
77 مأساة ذات ثلاثة فصول
78 الماضي الرهيب
79 المتهم البريء
80 المتهمة البريئة
81 المصيدة
82 مغامرات بوارو
83 الثعلب
84 الموت المقنع
85 موعد في بغداد
86 موعد مع الموت
87 نادي الجريمة
88 الوصية المفقودة
89 الجريمة المزدوجة
90 الياقوتة الحمراء
91 جريمة بلا شك
92 غريم بوارو
93 وجه من الماضي
94 خاتمة المأساة
95 الحصان الشاحب

اقطع الكوبون ادناه، وضع علامة ☒ على رقم الروايات التي تريدها، وأرسله مع الشيك على أي مصرف (بنك) في "لبنان" بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص.ب 374 – جونيه – لبنان

ملاحظة : جميع الحوالات والشيكات باسم : **Dar Music**

وان يكتب على الشيك عبارة " <u>يصرف للمستفيد الأول فقط</u> "

10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
20	19	18	17	16	15	14	13	12	11
30	29	28	27	26	25	24	23	22	21
40	39	38	37	36	35	34	33	32	31
50	49	48	47	46	45	44	43	42	41
60	59	58	57	56	55	54	53	52	51
70	69	68	67	66	65	64	63	62	61
80	79	78	77	76	75	74	73	72	71
90	89	88	87	86	85	84	83	82	81
100	99	98	97	96	95	94	93	92	91

الاسم : ________________

العنوان : ________________

ص.ب : __________ المدينة : __________ الرمز البريدي : __________

الدولة : ________________

مرسل طيه شيك بمبلغ : __________ دولار أمريكي .